THE EIGHTH OF AUGUST A NOVEL

الثامن من أغسطس

أميرة أحمد

رواية

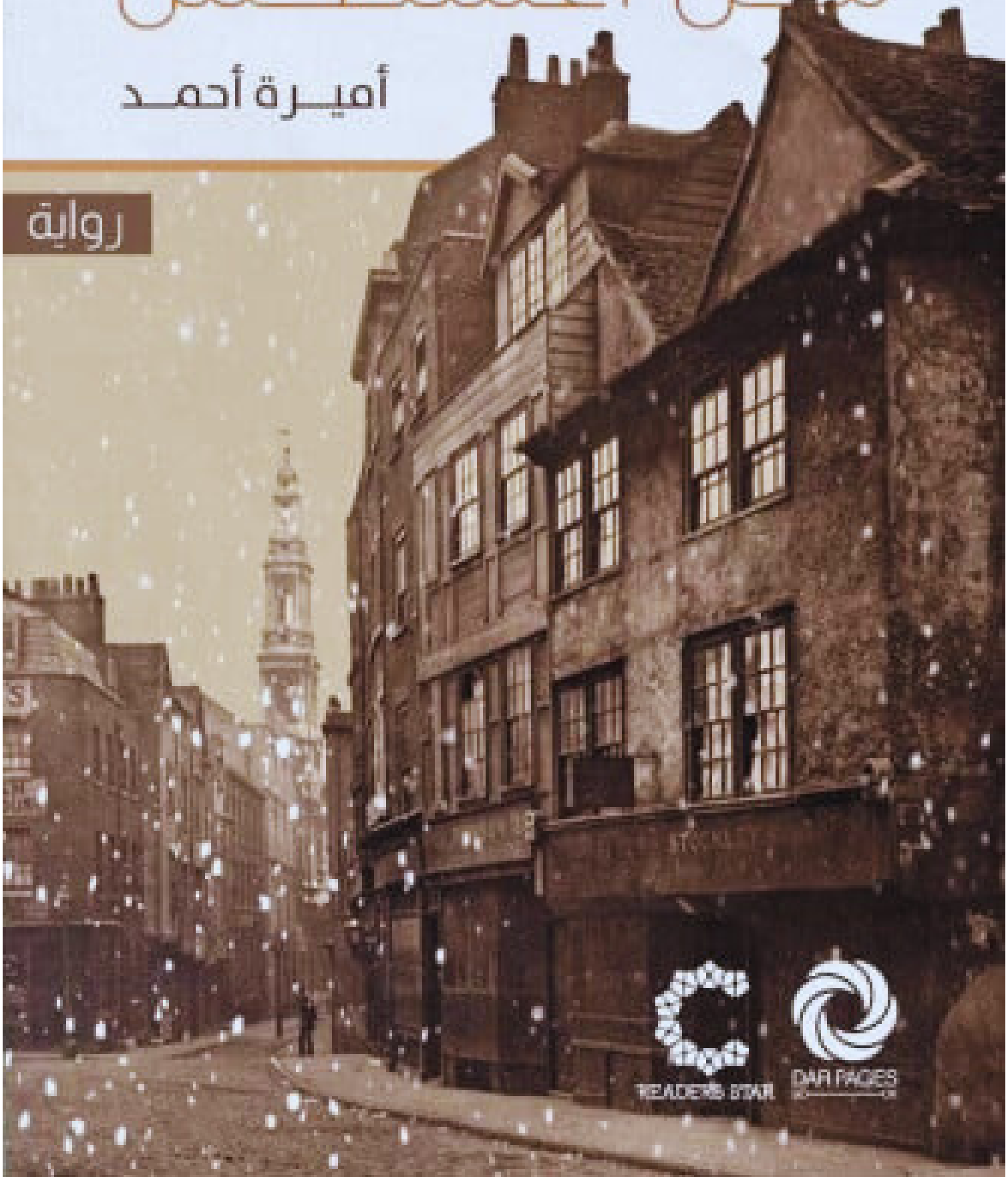

READERS STAR
DAR PAGES

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

حنين و أنوار

-

https://t.me/osn_osn

Scan me!

الثامن من أغسطس

أميرة أحمد

مكتبة إيلينا

Elena book

تم هذا العمل بواسطة مكتبة
إيلينا

كل الشكر والود
لـ غادة سالم

إنه الثامن من أغسطس.. والجو بارد جدا..

ترجلتُ من المقعد الخلفي لسيارة ذات دفع رباعي أظنني طلبتها للتوصيل، السائق ليس في السيارة لكنني وصلت لوجهتي على أي حال.

سرت عابرا الشارع إلى الجهة الأخرى من الرصيف، ثم تابعت المشي حتى وصلت لزقاق قريب من المكتبة العامة. عبستُ حين رأيتُ سيارتي يكسوها الجليد، أزلته بكم معطفي فأنا لا أرتدي قفازات ولن أخاطر بإزالته بيدي العارية في هذا الصقيع.

بحثت عن المفتاح في جيبي، لا أثر له!، جربت الجيوب الأخرى ولم أجده ، زفرت بضيق وأنا ألتف متوجهًا إلى المكتبة العامة، دلفتُ إليها وسرتُ قاصدا بابًا وُضِعَت فوقه لافتة للموظفين فقط)، دفعته داخلا وتوجهت مباشرة إلى خزانتي، أدخلت الرقم السري ثُمَّ مددت يدي فوق الرف المعلق في أعلاها باحثًا عن مفتاحي الاحتياطي، لم أستغرق وقتا طويلا، فخزانتي فارغة لم أملأها بشيء، وجدته في أقصى الرف قرب الزاوية اليمنى، التقطته وخرجت قاصدا مسكنى.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

في الحي الرابع، بين زُمرة من البنايات السكنية، البناية الأقصر والأقدم الطابق الخامس الباب الثالث فور خروجك من المصعد تلك هي شقتي.

أدخلتُ مفتاحي في القفل وأدرته ولم يُفتح، مفتاحي صدئ وهذا القفل أصدأ منه بمرات، لذا حاولت مرة بعد أخرى ولم يُفتح !، عليَّ أن أتصل بمن يصلحه. أمسكت هاتفي باحثًا عن رقم مُصلح الأقفال الأشهر في هذا الحي...

- المعذرة.

رفعتُ رأسي ناظرا للرجل الذي يقف بجواري، له منكبان عريضان، وقامة تفوقني ببضعة سنتيميترات، يرتدي معطفا سميكا بلون سكري، وقفازات بنية اللون، كان يتكئ على عصا رفيعة بدا أنها لاستكمال مظهره فحسب، وشعره مغطى بقبعة بنية مستديرة ذات عنق قصير. قلت:

- نعم، تفضل كيف لي أن أساعدك؟

تحرك شاربه الأسود الغليظ مع حركة شفتيه:

- إنك تقف أمام شقتي.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

التفتُ أُعاين رقم الشقة ثم نظرتُ إليه ثانية:

- لابد أنك مخطئ سيدي، فهذه شقتي.

رمقني بعينيه الحادتين ولم ينبس ببنت شفة، ثم أبعدني بذراعه القوية وأخرج مفتاحه ودلف إلى الشقة مغلقا الباب ببطء وهو يرمقني بنظرات مهددة.

لا يعقل ذلك!

هرعت إلى خارج البناية لأتأكد، أهذه بنايتي؟، إنني واثق بأنني أعيش في أقدم البنايات في الطابق الخامس ! عدتُ راكضًا إلى شقتي أخرجت المفتاح بعجل وحاولت إدخاله مجددا، ذلك الرجل قد دخل أمامي قبل قليل، دخل لشقتي !

لم يدخل، لديَّ عدة مفاتيح متشابهة، مفتاح شقتي هو أحدها، رغم ذلك أنا لا أخطئه عادة. رحت أجرب المفاتيح الأخرى الواحد تلو الآخر، لم يدخل أحدها!، رميت بها بغضب وضربت بقبضتي بكل قوة باب شقتي، لم أتوقف عن الضرب حتى فتح الباب وأطل من خلفه الرجل الستيني، لقد نزع قبعته فبان شعره الأسود القصير اللامع، قال لي في غضب:

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- ماذا تريد أيها الفتي؟!
- هذه شقتي !
- من الواضح أنها ليست كذلك.
- إنني أقول لك هذه الشقة التي أنت بداخلها ملك لي!
- اذهب وأزعج أُناسا آخرين.
- ما الذي يجري يا أبتي؟

صوت أنثوي رقيق نطق بهذه الكلمات، التفت الرجل إليها وزادت فرجة الباب مما سنح لي بإلقاء نظرة إلى الداخل.

نفس الأرائك الرمادية المهترئة، نفس الستائر الزرقاء التي لا تتماشى مع الأثاث نفس التلفاز والمطبخ والحاجز الخرزي الفاصل بين الصالة والممر، كل شيء نفسه، هذه شقتي !

- لا شيء يا عزيزتي عودي إلى النوم.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

نطقت بحدة:

- هذه شقتي.

رد على بالحدة ذاتها :

- ليست كذلك، اغرب عن وجهي.

وكاد أن يغلق الباب لكنني وضعت قدمي مانعا إياه، فدفعني بقوة أسقطتني أرضًا وأغلق الباب. وللتو انتبهت لعدد الأعين المتفرجة التي شاركتنا المسرحية، التقت عيناي بعيني (إيريك) جاري المخلص وصديقي الوحيد، كان يطل بعين واحدة من خلف الباب الذي حجب نصفه، استطعت أن أر شعره البني المتطاير وملابس نومه الزرقاء، قد استيقظ من نومه بدا ذلك واضحًا من ملامح وجهه النعسة.

نهضت مجددًا وعاودت طرق الباب، لم أكفّ حتى انفتح الباب ليطل ذلك الرجل من خلفه مجددا، قال مهددًا:

- سأتصل بالشرطة إن لم تذهب.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وأغلق الباب في وجهي.

بل أنا من سيستدعي الشرطة ليمسكوا به!

***

شددت وشاحي على عنقي وغطيت ببعضه أنفي وفمي، لقد هبَّت ريح صقيعية ويبدو أن السماء المكفهرة تحمل في جعبتها ثلوجا، إننا في أغسطس بحق الله، ما كل هذا البرد!، سرتُ متحاملا على الألم الذي ينخر ركبتي، وكأنني إنسان آلي، كل مفصل في جسمي يحتاج لتزييت، ظننتُ أنني حين أعود إلى شقتي سأحصل على بعض الراحة!

دفعت باب مركز الشرطة داخلا، استقبلني الهواء الدافئ ورائحة القهوة التي تُبقي هؤلاء الرجال مستيقظين في مثل هذا الوقت، قدمت شكواي، وسرعان ما رأيت نفسي في سيارة شرطة دافئة تتوجه إلى بنايتي.

تبعد بنايتي بمقدار شارعين فقط، ولولا اشتداد البرودة في الخارج وسقوط بعض الندف الثلجية لما كنت أستريح على المقعد الخلفي لسيارة الشرطة الآن.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

طَـرَقَ الشـرطي بـاب شـقتي طرقـات هادئـة وكـان يتوقـف كـل بضـعة ثـوان ويُعـاود الطـرق، فـتح البـاب وأطـل ذلـك السـتيني مـن خلفـه كـان يرتـدي رداء النـوم وبـدا أننـا قاطعنـا أحلامـه ، نظـر إلـى رجـل الشـرطة بتفـاجؤ واحتدت نظراته حين لمحني.

أردف الشرطي:

- سيدي، يقول هذا الشاب أنَّ هذه الشقة ملك له.

قال الستيني:

- إنـه مخبـول يـا حضـرة الشـرطي، أنـا أسـكن هنـا منـذ أشهر ولم أر وجهه قط.

ما الذي يهذي به هذا العجوز !!

ومجـددا شـاركتنا الأعـين المتطفلـة المسـرحية، يبـدو أننـي أقـدم لهـم مـادة دسـمة للمشـاهدة، رأيـتُ (إيريـك) ينظـر لنـا بفتحـة بـاب كاملـة هـذه المـرة وبعينـين يقظتـين، لا يبـدو أنـه عاود النوم الكل متحمس لهذه المسرحية!

قلـت: لقـد غـادرت هـذه الشـقة صـباحًا يـا حضـرة الشرطي، الكل هنا يعرفني.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

والتفت لـ(إيريك) أسأله العون:

- أخبرهم يا (إيريك)!

ارتسمت أمارات الدهشة على وجهه، وتلكأ حين وُجُهَتْ الأبصار إليه، نطق بلعثمة وتوتر

- لا علم لي لا أعرفُ هذا الشاب !

صدمت: ماذا تعني؟، كيف لا تعرفني؟، (إيريك)!

هز رأسه رافضًا لا أدري كيف تعرف اسمي، أنا لا أعرفك!

تنهد ذلك الستيني بتعب، وقال بعدم رضى موجها حديثه إلى الشرطي:

- إن كنت تريد، يمكنني أن أريك عقد الإجار.

وجه الشرطي نظره إلى مستشعرًا ردة فعلي في حين كنتُ أسحب نظراتي المخذولة من (إيريك)، وقلت:

- إنني أحتفظ بعقد الإجار في الشقة، سيسهل عليه أخذه.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وضع الشرطي يديه في جيب معطفه ولم يقل شيئًا، فآخر ما يتمناه في ليلة شتوية كهذه اثنان يتشاجران على مُلكِيَّة!

- أبي أكل شيء على ما يرام؟

مجددا انبعث ذلك الصوت الأنثوي الرقيق من وسط الشقة، التفت إليها والدها وقبل أن ينطق بشيء زادت فرجة الباب وظهرت من خلفه صبية في العشرين من عمرها، ترتدي ملابس نوم صوفية، لها تفاصيل وجه ملائكي الجمال، وعينان ساحرتان بلون العسل، وشعر حريري بني اللون.

نطق الرجل بصوت مرهق: أيفي الاتصال بصاحب البناية بالغرض؟

إنه منهك جدا، ويبدو أن صداعًا بدأ يداهم رأسه، وعيناه تصارعان للبقاء مفتوحتين.

قلت: بالطبع !

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

دلف إلى الداخل كي يحضر ،هاتفه استطعت أن أر من خلال الإضاءة الخافتة، لوحات عريقة تزين الجدران، وستائر طويلة سكرية اللون على النظام الفيكتوري، وأرائك جلدية فاخرة، هذه ليست ممتلكاتي !

عاد وهو يضع هاتفه على أذنه، ينتظر استجابة الطرف الآخر، حين لم يحصل على استجابة فتح مكبر الصوت وعاود الاتصال.

ساد الصمت في انتظار استجابة السيد (كريغ)، معظم العيون المتطفلة قررت أن تستريح متخلية عن شغف معرفة النهاية. وحتى داخل البناية، كان الجو قارسًا ينخر العظام، وصوت الرياح الشديدة التي تضرب النوافذ يؤكد على أن يبقى الجميع في منزله يتناول مشروبا ساخنا قرب مدفأة متدثرًا بلحاف سميك.

انقطع الخط دون أن يجيب الطرف الآخر، للمرة الرابعة، ويبدو أن الرجل أكتفى فأغلق هاتفه وخبأه في جيبه. وبمحادثة بسيطة قصيرة، تم الاتفاق على تأجيل الأمر إلى الغد فالوقت قد تأخر كثيرًا، والأمر معلق بين يدي السيد (كريغ) الذي يغط في نوم عميق.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

نفحتني برودة شديدة جعلتني أتجمد في مكاني لبضع ثوانٍ ما إن فتحت باب البناية، شددت معطفي السميك وخطوت فوق البساط الأبيض الرقيق متوجها إلى سيارتي، رأيت رجل الشرطة ينفخ في كفيه العاريتين وهو يستعد لركوب سيارته، لم يكن ذو نفع شديد، لقد منحني بعض الوقت لأتحدث مع ذلك الرجل البغيض فحسب.

استدرت حول البناية وتوجهت إلى الشارع المقابل، سرت بشكل مستقيم حتى وصلت إلى مواقف الحديقة الصغيرة. المكان الوحيد الذي يوفر مواقف مجانية. شيءٌ لا تستطيع لمحه قرب بنايات السيد (كريغ) البخيل.

ركبت السيارة وأشعلت التدفئة بسرعة، وفي انتظار السيارة حتى تسخن رحت أفكر بمكان ملائم أقضي فيه الليلة.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

2

نزل صغير بسيط يسمح لي بقضاء الليلة بثمن زهيد.

وقفت أمامه لبضعة لحظات أهيئ نفسي لما قد أواجه، غرفة ضيقة كالقبر، مرتبة قاسية كالصخر، إضاءات محترقة، وفتحات تدفئة لا يصدر منها سوى الضجيج، وإذا ما ابتسم الحظ لي سأحصل على ملاءات نظيفة لا تفوح منها رائحة كريهة.

دفعت الباب الخشبي داخلا، استقبلتني امرأة عجوز محدودبة الظهر قصيرة البنية، غزا الشيب كل شعرة في رأسها ، ابتسمت لي ابتسامة عطوفة وقادتني إلى غرفة شاغرة في الطابق الثاني ليست سيئة، متسعة بالقدر الذي لا يجعلني أشعر بأنّي مُتَلَصِص على هواء جيراني، دافئة إلى حد ما وإضاءاتها تعمل، ومرتبتها لا بأس بها.

نزعت حذائي وتمددت على السرير حدقت في السقف العريض الفارغ منتظرا زيارة النوم، لا أستطيع النوم بسهولة في الأماكن الجديدة حتى وإن كنت في أقصى حالات تعبي. وعلى ما يبدو لن يشرفني النوم بحضور سريع حتى وإن حاولت فلدى الجيران في الغرفة المجاورة حفلة أحبوا أن يشاركوني بعضها، ومن فوقي سمعت زوجة توبخ زوجها لعدم اهتمامه ،

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أما الغرفة التي تقع على الجانب الآخر من غرفتي فساكنها يُفضّل الأفلام المرعبة ذات الأصوات العالية في وقت متأخر كهذا، وهكذا لم يغمض لي جفن إلا قبل اندلاع الفجر بسويعات.

****

نغمة منبه غريبة انتشلتني من أعماق حلمي، فتحت عيني بصعوبة ولبثت عدة ثوانٍ حتى استعدتُ كامل وعيي، إنه صوت منبه أحد النزلاء. هممتُ لأنهض لكن جسدي أبى، إنه ثقيل ومتصلب كما لو كان صخرة صلدة لا يمكنني تحريك أي جزء منه، ولا حتى الالتفات برأسي، بقيت على هذا الحال ثاو في سريري دون حراك لمدة والصوت لم يصمت.

نظرت خارج النافذة التي تقع قرب السرير، لقد سكنت الريح العاتية، وظلت السماء مرتدية حُلتها الرمادية، تذرف ثلوجا باعتدال فوق رؤوس قلة من البشر. الظلام مسيطر، يتخلله ضوء بسيط يثبت وجود الشمس المختبئة خلف السحب..

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أخيـرًا اختفـى الصـوت، بـبطء وصـعوبة حاولـت تحريـك أجـزاء جسـدي حتـى اسـتقمتُ جالسًـا وسـكنتُ فـي مكـاني لمـدة إلـى أن اسـتعادت أعضـائي نشـاطها، أمسـكت بسـاعة يـدي أتفحـص الوقـت. إنهـا التاسـعة، لـم أنـم سـوى أربـع ساعات فقط.

بحثـتُ بنظـري عـن قنينـة مـاء، حلقـي جـاف جـدا إلـى درجـة التيـبس؛ لـم أجـد. لابـد أن أبتـاع واحـدة فـور خروجي.

نهضـت متوجهًـا إلـى الحمـام حمـام سـاخن كفيـل بتهيئتـي ليـوم مـثلج كهـذا، حـين انتهيـت وجـدتني مرغمـاً علـى ارتـداء نفـس الملابـس التـي كنـتُ أرتـديها. لـديّ خزانـة شـتوية لا بـأس بهـا أمسـت بـين يـدي ذلـك السـتيني، لكـان من اللطيف أن أرتدي شيئًا منها.

ارتـديت القمـيص الصـوفي الرمـادي والسـروال الأسـود الواسـع قلـيلا، شـددته بحـزام وأمسـكتُ بـالمعطف الرمـادي لألبسه وحينها لاحظت شيئا...

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

هـذه ليسـت ملابسـي ، لا تشـبه أيـا منهـا ولـم أشـتر مثلهـا قـط، محـال أن أبـدد أمـوالي علـى بضـاعة العلامـات التجارية الشهيرة، إذن.. لمن هذه؟!

أتراها لـ(إيريك) وقد استعرتها منه؟

لا أدري.. لا أتذكر البتة!

****

سَـرَتْ القشـعريرة فـي جسـمي حـين غاصـت قـدمي فـي طبقـة الـثلج السـميكة، جاهـدت حتـى أصـل إلـى الطريـق الممهـد ومنـه توجهـت إلـى سـيارتي، فتحـت الغطـاء الخلفي ورحت أبحث عن ملابس احتياطية.

غالبـا مـا كنـت أنسـى بعـض ملابسـي فـي السـيارة، حتـى أصـبحت عـادة أتسـلح بهـا فـي الأزمـات، وجـدت قميصـا وبنطـالا خفيفـين، ولـم أعثـر علـى شـيء فـي المقاعـد الخلفية.

زفـرت بضـيق وسـرتُ ذاهبًـا لمقعـدي لا حاجـة للرجـوع إلـى الأعلـى وتفقـد حاجيـاتي، فأنـا قـدمت بالقليـل منهـا علـى أي حال.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أعمل في المكتبة العامة التي تقع بالقرب من مركز المدينة، حيث يُقَدَّمُ للعاملين مُرَتَّب يوفر لهم حياة كريمة، لكن ليس بالنسبة لي!، فلم يحن موعد استلام مُرَتِّبي الأول بعد، وعملي السابق كبائع في البقالة لم يوفر لي الكثير من المال.

سلكت الطريق الرئيسي السريع عدد قليل من السيارات شاركتني المسير، من النادر رؤية الطريق الرئيسي شبه فارغ!، خففت من السرعة عندما لمحت اللوائح التي تطلب ذلك، في نهاية الطريق توجد حواجز وإشارات تؤدي إلى طريق آخر وخلفها عدد كبير من عمال البناء والآلات الضخمة. إنهم يعملون على بناء جسر وقد أنهوا جزءا منه.

توقفت جانبًا قُرب مجموعة من الرجال الملتفين حول طاولة صغيرة، ناديت عليهم:

- المعذرة.

تقدم إلى أحدهم: فيم أخدمك سيدي؟

- متى بدأ تنفيذ هذا المشروع؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- هل أنت جديد على المدينة؟
- كلام

لا يبدو أنه صدقني : نعمل عليه منذ ثلاثة أشهر.

- ثلاثة أشهر !!

شكرته وأكملت طريقي، لم أُصَدِّقه طبعا، فلم يكن له وجود بالأمس!

***

دفعت باب المكتبة عابرًا إلى المنطقة الدافئة، استنشقت رائحة القهوة المرة التي تملأ المكان على مقربة منا يقع مقهى يرتاده الكثير من القراء قبل ولوجهم إلى المكتبة محملين بأنواع القهوة التي تعطّر الأنحاء. وقعتُ في سجل الحضور، وتوجهت لمباشرة عملي.

بدا وقع خطواتي واضحا في هذا الهدوء، حتى الأطفال الصغار يلتزمون الصمت التام هنا إنه المكان الأهدأ في هذه المدينة الهادئة، حملت بعض الكتب التي انتهى القراء منها ورحت أعيدها في مكانها ...

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- إذا كيف وجدت المدينة يا (ويل)؟

ابتسمت وقلتُ: باردة جدا.

بمرحه المعتاد قال : إنها كذلك بالنسبة لجميع سكان المناطق الجنوبية.

- بل إنها باردة لأنها باردة، سيخبرك بهذا حتى سكان الشمال...

هذا هو (نايل)، أظنه في مثل عمري في أوائل أيامي كان يلازمني دائما ويعاملني كصديق عزيز، ولا يزال فهذه هي شخصيته، مرح على الدوام ويعامل الجميع بلطف.

- على العكس سكان الشمال يعشقون هذه الأجواء.
- كفاك يا رجل لا أحد يعشق هذه الأجواء الصقيعية.

-: أؤكد لك ذلك !

- تقفت لهنيهة أنظر للكتاب الذي بيدي، يفترض أن يصل مع مجموعة من الكتب النادرة التي تبرع بهم رجل ما، بعد أسبوعين!:
- (نايل) متى وصلتنا هذه المجموعة ؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- : تـأخرَتْ كثيـرًا، أخبرنـا المالـك بأنهـا ستصـل بعـد أسـبوعين مـن تواصـلنا معـه ولـم تصـل إلا بعـد شهرين.

حـدقت فـي الكتـاب للحظـات ثـم أعدتـه مكانـه، لا أصـدقه، فهو كثير المزاح أيضًا، لكن متى أتت هذه المجموعة؟!

دقـائق ونـادى علينـا أحـدهم كـي نسـاعد فـي المخـزن، فقـد أتت حزمة كتب جديدة وتحتاج للتنظيم.

***

حـل الليـل، وحـان موعـد إغـلاق المكتبـة، غـادرت مـع جملـة مـن زملائـي وبقـي فـي المكتبـة بعـض المـوظفين يتولـون إغلاقهـا، اتجهـت يسـارًا علـى الطريـق الممهـد حتـى وصـلت إلـى زقـاق ضـيق اعتـدت أن أركـن سـيارتي فيه، ركبتها وانطلقت قاصدا شقتي.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

فـي انتظـار السـيد (كريـغ) قامـت زوجـة السـتيني بضـيافتنا علـى أكمـل وجـه، قـدمت لنـا شـرائح مـن كعـك الليمـون وفطـائر وشـايا أحمـر، رتبـتهم بأناقـة علـى الطاولـة التـي أمامنـا، وأسـتطيع أن أشـتم رائحـة بسـكويت شـهي ينضـج فـي الفـرن لـم أتـذوق مـنهم شـيئًا بينمـا الشـرطي الـذي رافقني اليوم أيضًا يكاد يقضي عليهم.

لـم ينطـق أحـدنا بشـيء منـذ دخلنـا، لا أنـا ولا الشـرطي ولا السـتيني، فقـط زوجتـه كانـت تلقـي بـبعض العبـارات الترحيبية بين الحين والآخر،

وشـعرت بالاسـتفزاز بسـببها. إنهـا شـقتي، أنـا مـن يفتـرض بـه الترحيـب بهـم لا همـا، أيحـتلان شـقتي ويعـاملاني كضيف فيها؟!

نجلـس فـي غرفـة المعيشـة علـى طقـم مـن الأرائـك الجلديـة الفـاخرة، تـم تغطيـت الجـدران بـورق جـدران راقٍ وتوزعـت عـدة لوحـات زيتيـة عريقـة عليـه، هنالـك أيضـا تلـك السـتائر المصـممة علـى الطـراز الفيكتـوري ذات اللـون السـكري والسـجاد المخملـي الـذي يتوسـط غرفـة المعيشـة، إن كـانوا بهـذا الثـراء فمـا حـاجتهم إلـى شـقة فتـى يوشـك علـى الإفـلاس مثلـي؟!، والأهـم مـن ذلـك، كيـف تسنى لهم تغيير كل شيء في غضون عشر دقائق!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

عادت ابنتها إلى المنزل، برؤيتها واقفة قرب والدتها علمتُ من أين وَرِثَتْ كل ذلك الجمال، رغم أنَّ الستيني أيضًا – إذا ما نظرت إليه دون ضغينة – على قدر من الوسامة؛ رمقتني بغل عندما عبرت بقربنا، ليس وكأني تمنيت حدوث أي من هذا!

راقبتها وهي تدخل الممرَّ متوجهة إلى غرفتي، ليست أكبر الغرف، فقد حولت الكبيرة لمكتبة صغيرة ومكتب أظنها أصبحت الآن من

نصيب الزوجين، ترى ماذا فعلوا بممتلكاتي؟

دوى صوت الجرس معلنا حضور السيد (كريغ) أخيرا، استقبله الستيني بحفاوة وهو يتناول معطفه ويعلقه جانبًا أثناء تبادلهما أحاديث قصيرة أوضحت لي مدى معرفتهما ببعض، تقدم السيد (كريغ) إلينا فنهض الشرطي وصافحه، ثُمَّ سأله:

- السيد (كريغ)؟

أجاب الآخر:

- نعم.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- -: أنت صاحب البنايات السكنية هذه، والقائم على تأجيرها وبيعها؟
- -: أجل، أجل أنا هو .

أشار له الشرطي بالجلوس وهو يقول:

- تفضل بالتوضيح لي لم هذا الشاب وذاك السيد يُصران على أن هذه الشقة ملك لكليهما ؟

نظر السيد (كريغ) لي لأول مرة منذ دخوله إلى هنا، علا التعجب والاستغراب وجهه فور ما لمحني، وظل يرمقني بتفحص كأنه لم يتعرف عليَّ، ثُمَّ توجه لأحد الأرائك وجلس عليها وشرع فورًا يفتح ظرف بني كبير كان يحمله في يده وهو يقول:

حضرة الشرطي، إن السيد إدوارد ماكنيل) مستأجر عندي منذ ثلاثة أشهر، أعرفه ويعرفه سكان البناية كلهم، أما هذا الشاب فلم أره قط.

ألقى على نظرة سريعة قبل أن يُسلم الأوراق التي أخرجها من الظرف إلى الشرطي، مكملا:

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- هذه الأوراق تثبت ذلك.

تحدثت مقاطعًا وقد بدا الغضب جليا في صوتي:

- كيف لم تعرفني، سيد (كريغ)، قد أقمتُ في هذه الشقة سنينا عديدة، أتتظاهر بعدم معرفتي الآن!

وجه نظراته الباردة إلى وقال بينما كان الشرطي يتصفح الأوراق التي سلمه إياها:

- إنني أعرف الشاب الذي كان يسكن هنا قبل السيد (إدوارد) حق المعرفة، وأدرك أنه ليس أنت.

وقبل أن أصرخ معترضا وأعلن غضبي من تلاعبه هذا، تحدث الشرطي وهو يلوح بالأوراق التي بيده:

- هذا ينهي كل شيء، إنها أوراق موثقة تثبت ما قاله السيدان،

يستحسن أن لا تزعج السيد (ماكنيل) مجددًا حتى لا تعتقل.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

يا لها من مهزلة!

ركبت سيارتي وأشعلت التدفئة.

إذا هكذا تجري الأمور، لكون ذلك الرجل ثري لم يتردد (كريغ) في إعطائه شقتي وتزوير بعض الأوراق من أجله. ألم يجد ذلك الثري مكانًا أفضل ليحتله؟

أسندت رأسي على المقعد وأغمضت عيني ريثما تسخن السيارة.

عصفت الريح واشتدت ضاربة هيكل سيارتي، لقد توقف الثلج عن التساقط منذ الغروب وبقيت هذه الريح الباردة، لعلها أرادت مواساتي هذه الليلة.

تذكرت أصرت أمي على امتلاك نسخة من جميع أوراقي الرسمية تحسبا لأي طارئ، على أن أتصل بها!

بحثت في جيبي عن هاتفي ولم أجده، بحثت في الجيوب الأخرى ثم في أنحاء السيارة ولم أجده!، أين هاتفي؟!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

3

أمـام بـاب معـدني كـان ينتمـي لـي فـي أحـد الأيـام وقفـت متـرددا، لا رغبـة لـي برؤيـة أي فـرد مـن عائلـة ذلـك الرجـل، ولا (كريـغ) الـذي تسـرب صـوته مـن البـاب واصلا إلي، لكن أظنني نسيت هاتفي بالداخل.

طرقـت البـاب بخفـة عـدة مـرات حتـى فتحـت زوجـة السـتيني، نظـرت لـي بحيـرة وقـد ارتبكـت قلـيلا هـي أيضًـا لا تتطلـع لمقابلـة مـن أفسـد اسـتقرارهم مـرة أخـرى، قَـدِمَ السـتيني ليـرى مـن الطـارق وتجهـم وجهـه حـين رآنـي، نطقت قبل أن يسوء الوضع :

- نسيت هاتفي..

بحثـت قـرب الأريكـة التـي جلسـت عليهـا، وبـين ثناياهـا، وتحتهـا، وسـاعدتني فـي ذلـك زوجـة السـتيني، فـي حـين اكتفى الرجلان بالمشاهدة.

تحدث الستيني حين لم نعثر على شيء

- ما شكله ؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

قلت له غلاف أسود رسم عليه جبل جليدي.

وأردفت بعد أن تذكرت:

- أنتَ رأيته بالأمس، أتتذكره ؟ السلام عالميا

قطب الستيني حاجبيه وسكت هنيهة، ثم قال:

- لم تكن تحمل هاتفا !
- بلى، لقد كنت أنوي الاتصال على مُصَلِّح أقفال عندما قابلتني !
- لا أتذكر رؤيتي لهاتفك.

تدخل (كريغ) قائلا:

- أتحفظ رقمك ؟
- كلا

تملكني اليأس، إنني أحرج نفسي فقط، فأنا لا أتذكر أنني أخرجته هنا أبدا:

- ربما نسيته في مكان آخر، اعذروني.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وبـتفهم ودعـوني وأوصـلوني إلـى البـاب، لـديهم مقـدرة فائقة على التحمل وكتم الغيظ، لم أعتقد أنهم يملكونها .

بـت الليلـة فـي ذات النـزل، إنـه هـادئ تقريبـا هـذه الليلـة، هذا أفضل، فأنا بحاجة لإراحة جسمي وعقلي.

***

مثـل الأمـس، جمـد شـلل النـوم أوصـالي، وثبتنـي كخشـبة متينة تقف الرياح عاجزة عن تحريكها.

لـم أسـتطع الحركـة لمـدة أحسسـتها طويلـة، وحـين اسـتعدت القـدرة علـى التحـرك شـعرتُ بسـكاكين تُقَطِّـعُ حلقـي، إنـه جاف إلى درجة مؤلمة،

ارتشـفت قلـيلا مـن المـاء فتضـاعف الألـم لكونـه بـاردًا، أحتاج إلى شيء دافئ.

قصـدتُ أحـد المقـاهي القريبـة مـن النـزل، لـم يكـن مزدحمـا، دافـئ جـدا، ومشـبع برائحـة القهـوة الزكيـة راقبـتُ أحـد المـوظفين وهـو ينقـل المخبـوزات الطازجـة إلـى صـندوق العـرض القريـب مـن البـائع، تبـدو سـاخنة وشـهية، قطعـة كروسـان بـالجبن رفقـة شـوكولاتة سـاخنة ستكون لذيذة

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

جـدا، لكـن هـل لا بـأس بـذلك؟، حلقـي لا يـزال يـؤلمني أخشى أن أرتكب جريمة بحقه !

انتهـى بـي المطـاف بـأن اشـتريهما. جلسـت علـى طاولـة تطـل علـى الخـارج، لقـد عـاد الـثلج ليتسـاقط برويَّـة صـحبة الريـاح البـاردة مـع ذلـك هنالـك عـدد لا بـأس بـه مـن المشـاة المتسـلحين بـالملابس الثقيلـة، ينبغـي أن أشـتري بعـض الملابس أنا الآخر فلا أمل في رؤية مخزوني الشتوي.

الإفطـار فـي مقهـى هـو أحـد أنـواع التـرف الـذي أتجنبـه غالبـا، لـيس بخـلا إنمـا لا أملـك مـن المـال مـا يجعلنـي أتمتـع بـه، لكـن لا بـأس بـذلك اليـوم، فـاليوم سأسـتلم راتبـي الأول، وسأودع هذا الحرص الشديد.

توافـد جمـع مـن النـاس علـى المقهـى حـين هممـت بـالخروج، اصـطدم كتفـي بأحـدهم عـن طريـق الخطـأ فالتفـتُ معتـذرا، كـان شـابا أسـود الشـعر سـمح الوجـه أبـيض البشـرة، يشـبه إلـى حـد كبيـر ذلـك السـتيني، وبجانبـه ابنـة السـتيني، رمقتنـي بحقـد فيهـا اعتـذر هـو وذهبـا، رؤيتهما عكّرت جمال هذا الصباح وأفسدت مزاجي.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

يبعد السوق عن المقهى مسافة خمس عشرة دقيقة بالسيارة، ذهبت إليه قاصدا المحل الركني في نهاية الشارع، مقصدي الدائم الذي يوفر ملابس جيدة بسعر ممتاز . غالبًا ما ارتاده الصبح في مثل هذا الوقت الباكر حيث يكون شبه فارغ ويتسنى لي التبضع بهدوء.

أخذت معطفين وثلاثة أقمصة وثلاثة بناطيل مع وشاح واحد وقبعة، لا حاجة لزيارة غرف التبديل فأنا أحفظ مقاساتي عن ظهر قلب.

ساورني التردّد وأنا أتجه إلى المحاسب، أيجدر بي الاكتفاء بقطعة واحدة من كل شيء؟، ليس من الجيد أن أبدد مالي بهذه السرعة وبهذا الشكل..

كلا، لا بأس بذلك اليوم، علاوة على أنني لا أملك من الملابس غير ما أرتديه.

اشتريتهم ثم توجهت إلى النزل كي آخذ حماما ساخنا قبل الذهاب إلى العمل.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

ركنت سيارتي في المكان المعهود وسرت بخطوات واسعة حتى شعرت بدفء المكتبة، وقعت على سجل الحضور وتوجهت سريعا إلى الباب المعلق فوقه لافتة للموظفين فقط) خلفه رواق تصطف عدة خزائن على يساره، ويقع باب مكتب المديرة في يمينه، ونهايته مختومة بباب خشبي ضخم يقود إلى المخزن.

قصدت خزانتي وأدخلت الرمز السري، بحثت عن هاتفي فيها ولم أعثر على شيء، فهي فارغة تماما، أغلقتها وسرتُ باتجاه المخزن علني أعثر عليه هناك.

وقفت حائرًا أطالع هذا المكان الواسع، من أين أبدأ البحث؟ الأمر بمثابة التنقيب عن إبرة في كومة قش، فأين عساني أجد الهاتف في هذا الفضاء الكبير؟ ، توجهت إلى البقعة التي عملنا بها بالأمس ورحت أفتش عنه بين الصناديق التي لم ننتهي من تفريغ محتوياتها بعد.

- : هي، (ويل)، عما تبحث؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

رفعت رأسي ناظرا إلى (نايل) الذي كان يدفع عربة محملة بالكتب الجديدة:

- هاتفي، أرأيته في مكان ما؟
- كلا

وقفتُ نافضًا يدي من الغبار الذي علق بهما:

- لا أعلم أين فقدته.

أخرج هاتفه من جيب بنطاله الخلفي أثناء اقترابه مني وأردف:

- أملي علي رقمك .

استغربت طلبه، فقلت:

- ألا تحفظه عندك؟!
- : لم نتبادل الأرقام بالأمس يا (ويل)!
- -: وما الحاجة إلى ذلك؟ فقد تبادلنا الأرقام منذ زمن طويل!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

دهش، وبدت الحيرة على محياه، نطق بابتسامة مرتبكة:

- هل تقابلنا من قبل يا (ويل)؟!

ضايقني مزاحه ولهوه الذي لم يكن في وقته، بالكاد أستطيع كبح استيائي لكل ما جرى ويجري لم يكن ينقصني إنكاره معرفتي، زفرتُ بقلة صبر واستدرت ذاهبًا إلى جهة أخرى:

- أسد لي معروفًا وابحث عنه، إنه ذو غلاف أسود رسم عليه جبل جليدي.

لم نجني من بحثنا سوى التعب، لا أثر لهاتفي على الإطلاق!

***

حان موعد الإغلاق، خُفِتَتْ الإضاءة وأُقفل الباب الرئيسي، تجمع الكل في الرواق أمام مكتب المديرة حتى يستلموا مرتباتهم، في أماكن أخرى كان أرباب العمل سيكتفون بإيداع المبلغ في حسابات الموظفين المصرفية، لكن رئيستنا من النوع التقليدي، تُفضّل أن تعطيك المبلغ في ظرف أبيض مع توقيع شخصي على الاستلام، حتى تضمن وصول المال، ولا تُنْكِرَ استلامه فيما بعد لأنها تحفظ شكلك وتوقيعك.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

رمقني بعضهم باستغراب، وكأنهم ينكرون وقوفي معهم بينما أثار استغرابي أنا خروج ذلك الفتى الذي تعيَّن بعدي بأسبوعين وبيده ذلك الظرف المتين، لم يكمل شهرًا بعد وحصل على مرتبه!

فردًا فردًا كانوا يتوافدون على الدخول ويخرجون محملين بتلك الأظرف المملوءة، دخلتُ حين لم يتبقى إلا القليل، وتلقتني نظرات التعجب من المديرة و (نايل) الذي دلف قبلي. خاطبتني الرئيسة قائلة:

- فيم أخدمك (بينفارت)؟

قلت مصححا: (بينفت)، ثم أردفت:

- جئت لاستلام مرتبي كالبقية.
- تصبح مؤهلا لاستلامه عند إتمام شهر على الأقل.
- -: وقد أتممته.

مجددا ارتسمت أمارات التعجب على وجهيهما، رمقتني بحدة من خلف نظارتها النحيفة:

- كيف وأنت لم تبدأ العمل سوى بالأمس ؟ !

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

صمت لثوان مصدوما مما سمعت، ثم نطقت بانفعال:

- لقد عملت هنا لمدة شهر !

وجاءني الجواب هذه المرة من (نايل)

- اهدأ يا (ويل)، لعل الأمور التبست عليك فهذا اليوم الثاني لك.

قلت بانزعاج وقد بدأ صبري يتفلت من قبضتي:

- كفَّ عن المزاح، أترى الوضع مناسبا لتلقي بطُرَفِك؟

ألجم وتملكته الصدمة، وسار بخطوات واسعة سريعة إلى الخارج دون أن ينطق بحرف، إنَّه شاب طيب لكن مزاحه الزائد يغيظني عدلت الرئيسة نظارتها النحيفة وقالت بصوت رزين:

- سأتغاضى عن سوء سلوكك وعدم تهذيبك، اخرج الآن.
- دون مرتبي؟

أحتد صوتها وهي تقول:

- مرتبك تستحقه عندما تكمل الشهر يا (بينفارت).

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

خرجت بسرعة والغضب قد أخذ مأخذه مني، هذا ما كان ينقصني،

جاء هذا الأمر ليبدد كل صبري. ركبت السيارة وانطلقت مسرعا، لا أدري حتى إذا ما سخنت أم لا، قدت في الشوارع بسرعة متخطيا جموع السيارات، ولم أدرك نفسي إلا وأنا خارج المدينة.

****

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

4

لقد تعجلت...

لم أفكر برويّة استسلمت للغضب الذي اجتاحني وتصرفت وفقه،

وها أنا ذا أسير على الطريق السريع دون هدف معين.

أين عساني أذهب؟، لقد انتصف الليل والثلج يتساقط بكثافة، ستصبح القيادة أصعب إن استمررت في شق هذا الظلام بسيارتي القديمة متحديا كتل الثلج التي بدأت بالتكون.

أأبيت الليلة في نزل ما؟ وهل أملك من الأموال ما يكفيني لدفع ثمن النزل؟ ألم أبدد أموالي على كل ما اشتهته نفسي اليوم واثقا من أنني سأستلم ما يعوضني في نهايته؟!، تبا لماذا تسرعت في الخروج ؟

والداي يقطنان في مدينة بعيدة تستغرق قرابة اليوم للوصول إليها،

ولا أشقة لي أو أصدقاء ألجأ لهم في المدن المجاورة؛ لا أملك خيارا، سألجأ لنزل ما، عسى أن أجد واحدا زهيد الثمن بسرعة، فعيناي لا تستطيع المقاومة أكثر.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

بصرتُ لوحةً يشع النور من كلماتها، وبعدها بمسافة بسيطة النزل الذي دون عليها اسمه سأنزل هنا، لا أستطيع الاستمرار أكثر، ولا أدري كم سيستغرق العثور على نزل آخر حتى أقاوم، أرجو فقط أن أتمكن من تحمل تكاليفه.

دفعت ثمن الغرفة وركنت سيارتي في الساحة الكبيرة المحولة إلى مواقف. كنت أتمنى لو وجدت أرخص منه، ولولا أن عيني بدأت تُغلق من تلقاء نفسها، لتابعت البحث عن نزل آخر.

تتوزع غرف النزل على الأطراف الثلاثة للساحة الكبيرة المخصصة للمواقف، وأمامها تتزاحم الأشجار المغطاة بالثلوج في صفوف متوازية تحف الساحة. ستبدو خلابة تحت ضوء الشمس، أو في نهار يوم صيفي، ليس في هذه الليلة الصقيعية الموحشة ترجلت من السيارة متوجها إلى غرفتي بخطى سريعة بغية الوصول لمنطقة دافئة بأقصى سرعة، إنه أغسطس، الشهر الذي من المفترض أن تتسلح بكل وسائل التبريد في مواجهته لا العكس، لا أدري متى قرر أن يغير من صفاته ويرتدي حلة الجليد.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

زفرت براحة عندما دخلت غرفتي وأغلقت الباب، وارتخت عضلاتي استجابة للدفء الذي يغمرها من كل مكان، فككت وشاحي ونزعت قبعتي وأنا أجول بعيني في أرجاء الغرفة، ليست سيئة، بل بالأحرى إنها جيدة جدا، أوسع من تلك التي استأجرتها في المدينة وأرقى. نزعتُ حذائي وأفرغت جيبي من كل ما يحتويه قبل أن أرتمي على السرير، مريح جدا، مناسب تماما لجسد أرهقه طول الطريق، يمكنني أن أنام بسلام الآن وأنا أعلم أنني لم أبدد أموالي فيما لا يستحق.

***

استيقظت منزعجًا من نور الشمس المسلط على عيني، حاولت الالتفات للجهة الأخرى متجنبًا إياه ولكن يا إلهي! ها هو شلل النوم يسيطر على جسدي مثلما اعتاد في اليومين المنصرمين. خلال سنواتي الست والعشرين لم يصادفني شلل النوم إلا قليلا وفي أوقات متباعدة، لم يلازمني بشكل يومي قبل الثامن من أغسطس، قبلها كانت أحوالي المالية والجسدية بخير.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

الشمس ساطعة بعد يوم ثلجي بارد؟، هذا يعني أنني تأخرت في الاستيقاظ، وعليه فإنني سأتأخر في الخروج والوصول، ليت هذا الضيف الثقيل يحل عني حتى أستطيع تدارك الأمر.

بعد عدة دقائق استطعت تحريك جسدي بصعوبة، لا أظنه شلل لا ليس كذلك، لا أتذكر الكثير عنه غير أنني أعلم أنَّ هذه الأعراض مضاعفة، ربما يجدر بي زيارة طبيب.

استويت جالسًا على السرير ورحت أدلك جسدي عسى أن يخف هذا الألم ويزول، التقطت بيدي اليمنى ساعتي وأنا مستمر بالتدليك بيدي اليسرى العاشرة!! ، لم أظن أنني تأخرت إلى هذا الحد!، هذا سيعني وقتا أطول للوصول إلى والدي، إنني أستمر في تضييع الوقت والخروج في أوقات سيئة.

زفرت مخرجًا كومة الضيق التي انتابتني وأعدت الساعة لمكانها ثم التقطت محفظتي التي في جوارها إن كنت سأستغرق وقتا أطول للوصول فهذا يعني أنني سأستخدم مالا أكثر، لست متأكدا من كوني أملكه!؛ ترددت في فتحها، لا أريد أن أرى إلى إي مدى أنا عاجز عن إعالة نفسي في قادم الأيام، فلأدع هذه الصدمة لوقت آخر، رميتها على

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

المنضدة التي بجانب السرير ونهضت لأخذ حمام ساخن يُنشط خلايا جسمي.

***

أُجريت على الطرق تغييرات عدة منذ آخر مرة، وهنالك تحويلات كثيرة، لم أعد أدري أين الطريق الصحيح، ليتني أمتلك هاتفي حتى يُحل الأمر، لو لم أكن أعتمد بشكل كبير على ساعتي لأدركت اختفاءه مبكرًا.

ألقيت نظرة على كوب القهوة الصغير الذي يستريح في حاملة الأكواب، أظنه أصبح مثلجا الآن فقد اشتريته قبل ساعة مع فطيرة خفيفة، أنا أستمتع باستنشاق رائحته فحسب، ولم أمتلك الجرأة حتى الآن لتذوقه، كلما تخيلت طعم القهوة المر اللاذع تستنفر حواس تذوقي وتنهاني عن شربه، إلا أنني مضطر ، أوشك الليل على الانتصاف ولم أحرز تقدما يذكر، إنني تائه، أدرك ذلك.

بدأ الغضب يأخذ مأخذه مني، أيعقل أن أتوه كشخص لم ير هذه الطرق قط؟ ، ويحي! ، أكان لزاما أن أتوه في مثل هذا الوقت، في هذا الظلام البارد مع مبلغ قليل من المال!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أمسكتُ بكوب القهوة وشربته دفعة واحدة متجنبا تذوقها، إلا أنَّ مرارتها وصلت إلي، ويا لمرارتها، لا بأس الأهم المفعول، يجب ألا يغمض لي جفن قبل الغد، قبل أن أصل لمكان تألفه ذاكرتي.

صاحبتني سيارات قليلة أخذت تقل وتقل حتى اندلع الفجر.

أوقفتُ سيارتي عند أحد المحطات ونزلتُ استفسر عن الطريق فلا أمل يرجى من ذاكرتي ظللت طوال الليل أهيم بلا هدى أبحث عن علامة آلفها لأستدل بها، وبلا جدوى.

أرشدني رجل طيب إلى أقرب طريق يوصلني لغايتي، فسرت عليه محاولا حفظ وصفه لأطول وقت ممكن، وحينما فقدت تلك الوصلة في كلامه وجدت نفسي أسأل آخرين عن الطريق، وبقيت على هذا المنوال طوال اليوم.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

حين قررت الشمس المغيب ودعتها السماء بحلة مُزجَتْ فيها الحمرة والصفرة لتلائمها، مع غروبها قرر مفعول القهوة أن ينتهي وراح يحثني على التوقف وأخذ قسط من الراحة لابد أن أثني على مفعول تلك القهوة القليلة المرّة، جعلتني أصمد ليوم آخر دون أن أذوق النوم، شيء ما تخيلت نفسي أُقدم عليه يوما.

نفد الوقود مع اختفاء آخر ضوء تبثه الشمس، عرجت على محطة الوقود لملئه، وبينما كان الموظف يسقي سيارتي الوقود رحتُ أحسب ما تبقى لي من نقود، أحتاج لأن أقضي الليلة في نزل ما، ولابد أن آخذ في الاعتبار ما سأدفعه للوقود والطعام، كل هذه الأشياء لن يغطيها المبلغ الضئيل الذي أملكه، أغلقتُ المحفظة بلطف ووضعتها جانبًا.

ماذا عليّ أن أفعل؟!

واصلتُ القيادة لبعض الوقت إلا أني لا أستطيع الاستمرار أكثر، أنا منهك جدًا، أحتاج للنوم وإلا تسببت في حادث دون قصد. بصرتُ محطة وقود على مقربة مني، وصلت إليها واخترت مكانا بعيدا عن الضوضاء والأضواء لأركن سيارتي تركت النوافذ شبه مغلقة. لقد بدأ الثلج يتساقط، سيصبح الجو باردًا جدًا على هذا الحال، لكن ما باليد حيلة، ما

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

معي لا يكفي لتلبية جميع حاجاتي في الأيام القادمة، على أن أتخلى عن شيء منها.

قفزت إلى المقاعد الخلفية بعد أن أطفأت السيارة وتأكدت من إقفال الأبواب، أخرجتُ الملابس الثقيلة التي أملكها واخترت منها ما يمكن استعماله كغطاء، حتى وإن كان النوم في السيارة فكرة سيئة، لا مفر منها.

فما معي من المال لا يكفي لاستئجار نزل، غير أني نعس جدًا ولن أبذل المزيد من الجهد في البحث عن واحد لأنم الآن وأترك التفكير في هذه المصيبة للغد.

***

الجو حار..

هل استعاد أغسطس مجده؟

أسمع تغريد العصافير ، صوت السيارات التي تشق الطريق السريع

و .. رياح ؟!

أما زال الجو باردا؟، ألا زال الثلج يتساقط في الخارج؟، ألا زال أغسطس يكتسي حلة الشتاء؟!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

الجو خانق..

لا أستطيع التنفس.

صحيح.. أنا نائم في سيارتي على جانب الطريق السريع؛ كنت متوجها إلى والدي!، عليَّ أن أنهض لأستأنف القيادة...

لا أستطيع تحريك جسدي كالعادة، بل لا أقوى على فتح عيني حتى.

في أي يوم نحن؟ كم الساعة الآن؟، لقد خرجت من المدينة في العاشر من أغسطس، أي أن اليوم هو الثالث عشر، كما أني أشعر بدفء غريب لا شكّ أنه قادم من أشعة الشمس، مما يعني أن الضحى قد حل ولا زلت نائما.

حاولت فتح عيني فانفتحتا بصعوبة، المكان مظلم، هنالك تأثير بسيط لأشعة الشمس التي تصارع الغيوم، لا أظنه الضحى...

أنا أختنق.. وكأن الهواء تحوّل لكتل كبيرة قاسية لا يستطيع أنفي استيعابها!، ينبغي أن أفتح النافذة.. كلا بل الباب!، ربما لو اعتدلت جالسًا لاستطعت التنفس، ليتني أستطيع الحراك !

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

حاولت رفع جسدي متحديًا الجمود الذي يلفه لكنني لا أقوى حتى على تحريك يدي، رباه! إن استمر الوضع على هذا الحال سأخر ميتا في غضون دقائق في سيارة قديمة متهالكة على قارعة الطريق، سيفقد والداي ابنها الوحيد، لن يستطيعا الاطمئنان عليه أو تحديد مكانه، لا هاتف لديه ولا أثر لسيارته، ضاع في الطرق التي يفترض أن تكون مألوفة ومات في سيارته في محطة وقود.

تُرى أسيعثر علي أحد قبل أن أغدو رمادًا؟!، ربما سيأتي مدير المحطة لتفقد السيارة بعد أن يتلقى شكاو كثيرة عن رائحة كريهة تصدر من سيارة مركونة في طرف المكان!

فلأوفر أفكاري البائسة لما بعد ولأحاول إدخال بعض الهواء النقي لهذا المكان، لقد تركت فتحة صغيرة في النوافذ حتى يعبر الهواء منها لم لم تؤدي عملها ؟

أخيرا تحررت يداي من قيود التصتُم، رفعتُ يدي اليمنى إلى مقبض الباب، إنها ترتعش بشدة. فتحت القفل بصعوبة ومن ثم الباب، بالكاد انفتح باتساع شبر، هذا كل ما قدرت عليه شهقت بفزع مع دخول موجة من الرياح الباردة إلى السيارة.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

لا بأس، لا بأس، المهم أنني أستطيع التنفس الآن.

استندت على كفي رافعًا جسمي حتى اعتدلت جالسًا. أنا أرتجف من البرد بيد أنَّ داخلي نار متأججة تبعث حرّها في كل أنحاء جسمي،

التحفت بملابسي التي اتخذتها غطاءً وأنا أضم جسدي المرتجف. استرقت نظرة إلى السماء. مكفهرة، غائصة في ثوبها الفاحم، وجهتُ نظري إلى ساعتي الموضوعة على المسند بين المقعدين الأماميين،

العاشرة!، رباه !

لا زلت متعبًا، وكأني لم أنم لا طاقة لي على قيادة السيارة، بل لا طاقة لي لأنهض من مكاني أيجدر بي العودة إلى النوم؟، لبضع دقائق إضافية ربا؟ ، ثم أستيقظ منهكًا منهارًا أكثر مما أنا عليه الآن؟!، كلا... أحتاج لمكان دافئ فحسب مع مشروب ساخن وسيكون كل شيء على ما يرام.

****

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

دلفت إلى مركز التسوق التابع لمحطة الوقود، هنالك عدد لا بأس به من الزبائن المتنقلين في المكان وقفت لهنيهة أحدد الوجهة التي يجب أن أذهب إليها قبل أن أسير قاصدا ركن المخبوزات المعلبة.

أطالع بلا جدوى في الفطائر المتفرقة، عقلي يرفض استيعاب شيء،

وهنالك صداع ينهش خلايا رأسي ويجعله أثقل.. بدأت الرؤية تصبح ضبابية، جفناي يحاولان الالتصاق ببعضهما رغم جهودي في منعهما، ولم تعد قدماي قادرة على حملي ...

سمعت صوت ارتطام شيء ما، إنه قريب..

قريب جدا ..

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

5

ولدت في ليلة شتوية شبيهة بهذه الليال..

كانت الرياح تعصف في الخارج والثلج يتساقط بكثافة حين كنت التقط أُولَى أنفاسي داخل المستشفى.

قيل لي كثيرًا أن هذا هو السر وراء عدم إصابتي بالأمراض بسهولة وخلف مناعتي التي عدوها حديدية، فلم أصب بالرشح ولا الحمى إلا مرات معدودة طوال حياتي.. أعتقد أنني فقدت هذه الميزة.

لا زالت النيران تحرق جوفي، تنشر ألسنتها في كل حدب وصوب من جسدي، سمومها قد علت حتى جعلت التنفس صعبا.. إنني أختنق!،

هنالك شيء فوقي يزيد الأمر سوءًا، يحبس الهواء داخله ويمنعه من التجدد، إنه ثقيل دافئ جدا، ستباغتني موجة باردة فور إزالتي له،

لكن.. ليتني أستطيع إبعاده حتى يعود تدفق الهواء.

إنني غارق في هذا السواد، في هذا العالم الذي ينتصف الحلم والواقع،

ما حولي هادئ جدا عدا صوت فرقعة الحطب الذي تأكله النيران، وأزيز

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

الرياح العاصفة، وهنالك تلك الرائحة التي تلسع أنفي.. مألوفة جدا..

أشبه برائحة المنظفات والمعقمات كرائحة مستشفى

آ... مهلا .. ما هذا؟!، شيءٌ أشبه بإبرة دبور اخترق مرفقي، وتفشى الألم الناتج عنه على طول ذراعي اليسرى، أصبحت أثقل كما لو أن مخدرا سرى فيها ... كلا... ليس هذا سبب ثقلها، غضنت جبيني محاولا

التركيز، إنني أشعر بشيء بارد أملس على جلدي، وعدة أشياء تشد يدي..

أصبح المكان أهدأ، اختفى صوت الرياح والنيران وحل محلها طنين متقطع، بدأت أدرك ما يجول حولي، رغم عدم قدرتي على فتح عيني استشعرت وجود شخص ما. خطوات هادئة تقترب باتزان نحوي،

و همسات خفيفة لم يترجمها عقلي.

ناضلت حتى أتحرر من هذا الظلام، حتى أتخلص من هذا العالم الهلامي الذي لا حدود له، فتحت عيني بعد جهد كبير، الأصوات أصبحت أوضح والرائحة أصبحت أقوى، رمشت عدة مرات ببطء حتى تنقشع الغمامة عن عيني وأبصر جيدا الواقف أمامي.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

مسن نحيف تلون شعره كاملا بالأبيض، بمعطف أبيض ارتداه فوق ملابسه ،العادية، ونظارة نحيفة استقرت فوق أنفه، ويداه مشغولتان بتثبيت كيس المغذي كان يتحدث بصوت خافت عبر هاتفه الخلوي المحبوس بين كتفه وأذنه، حينما انتهى والتفت إلي كنتُ أحارب جفني حتى لا يُغلقا. قطب جبينه مصدوما عندما رآني، أنهى مكالمته بسرعة وأقترب مني، لكن جفني تغلبا عليّ، وعدت لعالمي المظلم....

***

مقاوما جذب الكيان الأسود لي جمعت كل طاقتي القليلة لفتح عيناي. كمن يتسلق جبلا منحدرا تزايدت نبضات قلبي وغدا تنفسي أسرع لحظة تفرق جفناي عن بعضهما، ثم ما لبث أن عاد كل شيء لطبيعته.مع اتضاح الصورة.

قبالتي نافذة طويلة سمحت لخيوط الشمس الرفيعة أن تصل لعيني، تتوسط جدارًا غُطِيَّ بورق جدران سماوي علقت عليه بضعة لوحات لمناظر طبيعية، باستثناء تلك الرائحة القوية، كل شيء هنا مختلف.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

بقيت أنصت لفرقعة الحطب قربي غير قادر – ككل يوم – على تحريك جسدي، بعد دقائق قليلة التقطت أُذُنَيَّ حسيسا خفيفًا جعلني أنظر إلى يساري. يد بيضاء صغيرة ظهرت وأمسكت بطرف الباب تلاها ظهور نصف وجه دائري لفتاة صغيرة رؤيتي أدهشتها ودفعتها لإخراج وجهها بالكامل من خلف الباب، ثم سرعان ما تركته وذهبت مسرعة وهي تصيح:

- أبي، لقد أستيقظ !

وما هي إلا دقائق ودخل الغرفة شاب ثلاثيني، سمح المحيا حلو المبسم، يحمل بيده حقيبة جلدية وخلفه تلك الفتاة الصغيرة تتبعه كظله،

وضع الحقيبة على منضدة قربي وتحدث وهو يخرج عدة أشياء منها:

- حمد الله على سلامتك، خشيت ألا تستيقظ.

أكمل وهو يجري بعض الفحوصات لي:

- لحسن حظك والداي كانا بقربك، تلقفك أبي فور سقوطك

وجلبك إلى هنا بسرعة وإلا فالله وحده يعلم ما كان سيحل بك!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

والـده ؟!.. أكـان ذاك العجـوز النحيـف الـذي اعتنـى بـي قبلـه؟. كنـت متعبًـا جـدًا ولـم أنتبـه لمـن كـان قربـي فـي مركز التسوق فلا أتذكر رؤيته، لكن لا شبه يجمعهما !

أثـار حديثـه الكثيـر مـن التسـاؤلات فـي عقلـي، وددت لـو أطـرح بعضـها ولكنـي أشـعر بفتـور وخمـول غريـب فـي جسـدي، أنـا بالكـاد أجلـس الآن، لا طاقـة لـي علـى التحـدث لزمـت الصـمت واكتفيـت بمراقبـة مـا يفعـل، وكـذا تلـك الصـغيرة التـي ظلـت تراقـب والـدها بعينـين نبهتـين، تترصـد كـل فعـل يصـدر منـه كمـا لـو كانـت فـي غرفـة عمليـات بصـرها لـم يفـارق حركـة يـدي والـدها المسـتمرة، تشـبهه كثيـرًا ، بيـد أن حـدقتيها اللامعتـين بلـون الرصاص وحدقتيه هو سوداوين.

أردف بعد دقيقة صمت بابتسامته التي تبعث الطمأنينة:

- لا بـأس عليـك. قـد أُصِـبْتَ بحمـى شـديدة خشـيت أن تقـع علـى إثرهـا.في غيبوبـة، إلا أنـك تغلبـت عليهـا واستيقظت.

ثم نهض يجمع أدواته:

- لـم تغـادرك الحمـى بعـد، لـذا عليـك أن تسـتريح ولا ترهـق نفسـك، قـد تجـاوزت المرحلـة الصـعبة فـلا تعـد بقدميك إليها، بالمناسبة..

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

مد يده ليصافحني:

- أنا (توم)، طبيب في هذه المدينة.

الثامن من أغسطس

صافحته وأنا أنطق حروف اسمي، وفورا حضنت كفي رقبتي وشحب وجهي حين لم يخرج صوت من حنجرتي!

إلى الآن لاقيتُ الكثير، تصلب ونسيان، سوء تنفس، ومشاكل في البلع، ما كان ينقصني إلا أن تُزاد القائمة بفقدان الصوت!

عقد حاجبيه بحيرة وهو يسحب يده من يدي ليوجهها مباشرة إلى حقيبته التي لم يغلقها بعد، أخرج بعض الأدوات وراح يفحص حلقي،

تحدث بعد أن انتهى:

- يبدو أنَّ حنجرتك قد تأثرت، لا تجهد نفسك وتجنب الحديث سأوصيهم بأن يعدُّوا لك حساءً وأطعمة سهلة البلع حتى لا تتأثر حنجرتك، أرجو أن لا تقلق بشأن هذا.

حمل حقيبته وهم ليغادر ممسكا بيد تلك الصغيرة:

- صحيح نسيت أن أعرفك بطبيبتنا الصغيرة (ليندا).

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وغادرا. تاركين إياي وحدي في هذه الغرفة الهادئة، انكمشت متدثرا بالغطاء السميك ثم أرحت جذعي على ظهر السرير، كل شبر من جسدي يئن من الألم، وأستطيع بسهولة استشعار أنفاسي الملتهبة، أريد أن أغلق عيني وأستلقي مسافرًا إلى عالم الأحلام، لكن النوم جافاني، ماذا يفترض بمريض منهك أن يفعل إن خاصمه النوم؟

بقيت أحدق في النافذة التي أمامي دون وعي، أستذكر كل ما جرى لي حتى الآن، وأنسق وأخطط لما سيجري في قادم الأيام، سأخرج من هنا ما إن أشفى، وأشق دربي سالكا الطريق الذي يؤدي إلى منزل والدي هناك سأجد راحتي واستقراري وينتهي الكابوس الذي أعيشه.

نبهني من عمق أفكاري صوت دخيل جاء فجأة من الخارج، صوت قوي يشبه ارتطام شيء بشيء، تكرر فأرهفت السمع محاولا تكوين صورة لمصدره، ثم نهضت ببطء متوجهًا إلى النافذة. انكشفت تدريجيا صورة رجل ضخم البنية يحمل في يده فأسًا وأمامه قاعدة شجرة مقطوعة وَضَعَ فوقها قطعة خشب اسطوانية وتجهز لقطعها.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

جلست على الكرسي الطويل الذي يشبه الأريكة بلا مسند، والذي وضع أسفل النافذة تماما، أطالع الرجل دون هدف، وقد رفعت قدمي وضممتهما الصدري، ثم أرخيت جانب رأسي على النافذة أنظر إليه.

***

في صباح اليوم التالي، طرق باب الغرفة لهنيهة ثم توقف الطارق،

أردت أن أنطق سامحا له بالدخول لكن لا صوت لي، أبعدتُ اللحاف عازما على فتح الباب بعد أن تأخر من خلفه في الولوج، وحينها تحرك مقبض الباب منفتحا وخطت تلك الصغيرة داخلة تتبعها امرأة شابة تحمل في يديها صينية محملة بالأطعمة ألقت على تحية الصباح بابتسامة مشرقة،

ثم وضعت ما بيدها على أقرب شيء منها، بعدها توجهت إلى مجموعة طاولات مختلفة الحجم موضوعة داخل بعضها البعض حتى بدت كطاولة واحدة، وجلبت لي أكبرها وهي تتحدث:

- قَدِمْتُ البارحة بالعشاء لكنني وجدتك نائما..

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أكملت وهي تحضر الصينية وتضعها على الطاولة:

- حرص (توم) على إعداد طعام يسهل بلعه، حضرت لك البيض المخفوق ومشروبا ساخناً يُساعد في شفاء الحلق مع بعض الخضروات والفواكه، أتمنى أن ينالوا على استحسانك.

ثم أمسكت بيد الصغيرة مودعة إياي وخرجت.

نَقَلْتُ بصري إلى الطعام المنسق بطريقة تسر الناظر وتفتح الشهية لالتهامه، رائحته زكية رغم أنه مجرد بيض مخفوق وخضر، طالعته استحث أي رغبة دفينة في الأكل دون جدوى. من المؤسف أن يذهب مثل هذا الطعام الشهي هدرًا، وليس من اللباقة أن أرد على كرم هذه العائلة اللطيفة بمثل هذا الجحود، وإن كانت لقمة أو اثنتين خير من أعيد الطبق كما هو. مع هذا استغرقني بعض الوقت حتى أُمسك الشوكة عازما على تناول بضعة لقيمات .

استرعى انتباهي طرق على الباب دخل بعده الطارق مباشرة هذه المرة، وما كان إلا تلك الصغيرة ذات الشعر الأسود القصير المجموع في ربطتين على جانبي رأسها، تمسك بين يديها أوراقا كبيرة وقلما. أغلقت الباب بهدوء وجاءت تعدو إلي قالت ووجها يشع حماسًا:

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- أنت لا تستطيع التحدث أليس كذلك، لذا جلبت لك هذه الأوراق حتى تكتب ما تريد هكذا ستستطيع التواصل معنا.

سلمتني الورق والقلم وصعدت على السرير كي تجلس قربي، سألت بحماس وترقب

- ما اسمك؟

حدقتُ فيها بتعجب، أو تجيد القراءة أصلا؟، تبدو في الخامسة من عمرها تقريبا، أيُجيد الأطفال في عمرها القراءة؟

بدا أنها سئمت من انتظاري أخط شيئًا فسألت بقلة صبر:

- ألا تجيد الكتابة؟

طالعت الورقة البيضاء الكبيرة للحظات قبل أن أرسم بخط متوسط الحجم حروف اسمي عليها، ثم مررتها لها كي تقرأها.

تلقفتها بسرعة وراحت تتهجأ ما كتب فيها، حرفا حرفا تحاول فك رموز الاسم، مستعينة بكل طاقتها وتركيزها في تحليل هذا الرسم المكون من ثلاثة حروف، حتى انفرج وجهها فرحًا لحلها اللغز، نطقت بسعادة عامرة كمن حل أصعب مسألة في العالم:

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- (سام)!

هزرتُ رأسي بالإيجاب فقفزت فرحا، نظرتُ إليها وقد تسرب فرحها وسعادتها إلي يا لها من فتاة ،نبهة لم يخطر في بالي أن أتواصل بالكتابة معهم، وكنتُ قلقا بهذا الشأن.

طرق الباب فوثَبت بسرعة إلى الجهة الأخرى خلف السرير وانحنت مختبئة.

دخلت تلك المرأة بصينية تحوي إبريق ماء وكأسًا، وضعتها على المنضدة القريبة مني وفطنت للورقة والقلم اللذين بقربي، ثم رفعت نظرها إلى من كانت تختبئ جيدا خلف السرير ولم يبدو منها إلا قمة رأسها، وضعت يديها على وسطها وقالت آمرة:

- (ليندا) اخرجي من عندك حالا.

ثم أكملت موبخة: ألم أخبرك بأن لا تزعجي ضيفنا؟، تعالي هيا.

وقفت الفتاة مستاءة من قرار المرأة، وتحدثت مبررة

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- لكن يا أمي أنا لم أكن أزعجه كنت أقوم بدوري كطبيبة في الاعتناء به، ثم إنَّ على الأطباء أن يُرَوِحُوا عن مرضاهم، فجئت كي أسليه!

ردَّتْ الأم:

- إلى الأسفل حالا.

فانصاعت الصغيرة وخرجت متبرمة فيما قالت أمها:

- أعتذر عن ذلك، إنها فتاة فضولية كثيرة الحركة، أرجو ألا تكون قد أزعجتك ؟

نفيتُ ذلك برأسي، فابتسمت واعتذرت مجددًا قبل خروجها.

****

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

على هيكل المدفأة الخشبية التي استقرت في الركن الأيمن، رتبت عدة تخص أفراد هذه العائلة، وفوقها عُلقت ساعة دائرية. يليها ببضع سنتيمترات خزانة خشبية شفافة الأبواب، وُضِعَ في داخلها تحف منوعة وكتب وأشياء أخرى.

هكذا حاولت أن أمضي وقتي متنقلا بين تأمل الناس في الخارج وبين استشفاف تفاصيل المكان لمحتُ الرجل الضخم يدخل أسوار المنزل مُحمَّلًا بقطع خشب استقرت على ظهره مثبتة بقماش سميك، فور أن فك عقدته لتتساقط قطع الخشب خرجت تلك الصغيرة من المنزل بفرح شاسع راكضة إليه، حملها ودار بها حول نفسه ثم طبع قبلة على جبينها وأسر إليها ببضع كلمات لتهز رأسها بالموافقة، أنزلها وأمسك بيدها الصغيرة متوجها إلى المخزن الخشبي الصغير المنفصل عن مبنى المنزل، دخل وتوقفت هي بحماس تنتظره عند الباب، ثوان وخرج ممسكا بفأس كبير؛ سارا حتى جذع الشجرة وقد أمرها أن تلزم مكانًا بعيدا بشكل آمن، ثم راح يقطع الخشب وهي تراقبه بعينين مبهورتين.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

تبسمت ضاحكًا بخفة حين قفزَتْ بسعادة بعد قطع أولى قطع الخشب لنصفين، لا أظن أنَّ هذه الصغيرة تشعر بالملل أبدا، فهي تتخذ من كل شيء وسيلة جيدة للتسلية.

بعد ما يقارب الخمس دقائق أقبل والدها بزيه الطبي يحمل في يده اليسرى حقيبته الجلدية وكيس ورقي كبير، سلَّم على الرجل وقد اقتربت ابنته منه تحكي بحماس ما رأت بعثر شعرها بلطف وصحبها إلى الداخل فيما استمر الرجل الكبير فيما يفعل.

بضعة دقائق أخرى وطرق باب الغرفة، نهضت من المقعد الملاصق للنافذة كي أفتح الباب حين لم يدخل الطارق بسرعة، وفي منتصف مسيري فتح الباب ودخل الطبيب الذي ابتسم فور رؤيتي:

- مساء الخير.

تبسمت له في المقابل، وزادت ابتسامتي توسعا حين لمحت ابنته تتبعه إلى الداخل.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أجـرى فحصـا سـريعًا علـي حتـى يطمـئن أن أمـوري مسـتتبة وفـي طريقـي كـي أشـفى، ثـم نـاولني الكـيس الورقي الكبير الذي كان يستريح قرب حقيبته

- لـم أدر مـا يناسـبك واحتـرت قلـيلا فـي القيـاس... أتمنى أن تكون ملائمة لك.

يحـوي الكـيس علـى تشـكيلة متنوعـة مـن الملابـس الشـتوية. حـين أفقـت البارحـة لاحظـت أننـي أرتـدي ملابـس نـوم رماديـة اللـون واسـعة، خمنـت أنهـا ل (تـوم)، ثـم وحـين اسـتيقظت صـباح اليـوم رأيـت ملابسـي مرتبـة علـى الأريكـة، وهـا هـو ذا (تـوم) يقـدم لـي الآن تشـكيلة جديـدة مـن الملابـس الشـتوية... كيـف أسـتطيع رد جميـل هذه العائلة؟!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

صبيحة اليوم التالي دعتني العائلة لمشاركة الإفطار، قادتني (ليندا) عبر ممرات المنزل متوسط الحجم وهي تمسك بخنصر وبنصر يدي اليسرى بإحكام حتى لا أُفلت وأضيع كما قالت.

حين وصلنا كانت العائلة بأكملها تشارك في تجهيز الإفطار، الرجل الضخم والذي أظنه الجد لكثرة تواجده هنا ولمشاركته في الصور الموضوعة فوق مدفأة غرفتي، كان يُعد الفطائر المحلاة ويسلمها ل(توم) الذي ينقلها على الفور إلى طاولة الطعام، فيما كانت زوجة (توم) تجلب الأطباق وترتبها على المائدة مع محاولة إبعاد يدي صغيرها الذي يجلس في الكرسي المخصص له ويعبث بأي شيء تصل إليه يداه. وخلف الثلاجة التي أُغلقت للتو، كانت امرأة شقراء رشيقة بوجه حازم ذكرني بنساء الأعمال الثريات تحمل بيدها اليمنى إبريق عصير طازج تهم لوضعه على المائدة.

صرحت (ليندا) بسعادة عن وصولنا وراحت تساعدهم، وشاركت أنا بمساعدة طفيفة بعد إصرار مني ورفض من جانبهم لكوني مريض.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وبعد دقائق كنا جميعا نرتاح على كراسي الطاولة لنتناول الطعام، بدأ (توم) الحديث بابتسامته التي لا تفارق شفتيه :

- إذا دعني أُعرِفكَ بالجميع، والدي (رافائيل)، والدتي (ماتيلدا)،

زوجتي (مارلين)، وهذا ابني الصغير (جيسون).

تبسمت مسرورًا لمعرفتهم وأنا أُومي برأسي لكل فرد أثناء ذكر اسمه وعقلي مشغول بأولهم، إذ ظننته والد زوجته لا والده، إن كان هو أبوه فمن ذلك المسن الذي رأيته ؟

أردفت (ليندا) بسرعة وحماس قبل أن ينقطع موضوع الحديث:

- وهو (سام)، اسمه (سام).

نظر لها الجميع باستغراب وحيرة، ثم نقلوا بصرهم إلي ليقول (توم)

بوجه مندهش

- أحقا؟!

هززت رأسي بنعم، فوجه ناظريه لابنته مجددا وسألها:

- كيف علمتِ؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

رسمت ابتسامة واسعة على شفتيها وقالت:

- هذا سر .

سألها وهو يسكب شراب القيقب على فطيرتها ويساعدها في تقطيعها إلى قطع صغيرة:

- وهل هناك أسرار بين البابا و(ليندا)؟

فكرت قليلا وقد بدا ذلك على ملامحها، ثم أجابت:

- حسن سأخبرك.

وضعت شوكتها واقتربت منه قائلةً بصوت خافت سمعه جميعنا:

- لقد سمعت أفكاره.

أفلتت ضحكة منخفضة من جدتها ووالدتها فيما حاولت كما حاول جدها كتم ضحكتنا، وقبل أن يعلق والدها امتدت يد أخيها الصغير الذي يجلس عن يمينها لتخطف شوكتها وتسقطها أرضًا، صاحت بتذمر: (جيسون!»، فيما قهقه هو مستمتعا بجريمته الصغيرة.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وهكذا خُتِمَ هذا الموضوع لتفتح من بعده مواضيع شتّى كنتُ بالطبع مجرد مستمع فيها فلم تستعد أحبالي الصوتية قدرتها على النطق بعد، وددتُ فقط لو صرّحت تلك الصغيرة بالحقيقة، فلدي الكثير لأسأل (توم) عنه.

***

يومان آخران قضيتهما في هذا المنزل، عاد إلى صوتي هذا الصباح وصرت أخيرًا قادرًا على الكلام لابد أن أخوض حديثاً مع (توم) أسأله فيه عن كل ما يشغلني قبل أن أغادر صباح الغد، فقد تحسنت صحتي وغدوت أفضل بفضل اهتمامهم، لا أنوي الإثقال عليهم أكثر.

جلست في غرفة المعيشة صُحْبَةَ الصغيرين، لا أحد في المنزل سواي ووالدتهما، وقد اقترحت مجالستهما كي تستطيع هي إنجاز مهامها دون القلق عليهما، الأمر أشبه بروتين اعتدت عليه خلال اليومين المنصرمين.

فبعد الإفطار يخرج (توم) لتأدية عمله، وتستأذن والدته قرابة التاسعة حتى تذهب لتدير متجرها في المدينة، أما الجد (رافائيل) فيقضي وقته في الصيد وجلب الخشب وقطعه، وفي أحايين قليلة يساعد زوجة ابنه في رعاية الصغيرين.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أما أنا فقد استمعت لنصيحة السيدة (ماتيلدا) وبدأت أخرج أكثر من الغرفة المخصصة لي كي أشارك آل (أورلن) حياتهم، فصرتُ خير خيار لإمضاء الوقت بالنسبة لليندا)، وأفضل شخص تلعب معه وتحكي له حكاياتها، هي الآن تجلس عن يميني ممسكة بلوحها الذكي بين يديها وتلعب بتركيز، فيما انصب جل انتباهي على ذلك الصغير الذي يحبو في كل مكان. أسرعتُ في التقاط الخرزة الصغيرة – جدا- من بين يديه قبل أن يبتلعها.

رباه كان ذلك وشيكا! تدهشني مقدرته على إيجاد ما لا يرى بالعين المجردة دائما، إنه حركي جدا ولا يمكن مجاراة نشاطه، قالت والدته أنه لا شيء مقارنة بـ (ليندا) في صغرها، أنا فقط لا أريد أن أتخيل!

ها هو (توم) قد عاد، ألقى التحية وهو يحمل طفله ويلاعبه، ثُمَّ أتخذ له مقعدًا على الأريكة المقابلة لي، قلت مسترع انتباهه:

- (توم)..

همهم مجيبا ورفع ناظريه لي فأكملت:

- أنقلت إلى مستشفى قبل مجيئي إلى هنا؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

إن كـان المسـن لـيس والـده فـلا ريـب أنـه طبيـب فـي مستشفى عرجت عليه قبل مجيئي إلى هذا المنزل.

أجاب:

- كـلا منزلنـا أقـرب للمحطـة مـن المستشـفى، وكنـتُ قـد أنهيـت منـاوبتي آنـذاك لـذا نقلـك والـداي إلـى هنـا مباشرة.

مـا كـان ذاك إذا؟ ، أيـن رأيـتُ ذلـك الرجـل؟، أكـان حلمـا .. أم مجرد وهم اختلقه عقلي؟!، لكنه بدا حقيقيا للغاية !

تبسم قائلًا حين لاحظ تقطيبة جبيني:

- لا تقلق، أنا طبيب جيد بالفعل.
- الأمـر لـيس كـذلك.. ظننـتُ أننـي رأيـتُ شخصـا مـا. طبيب مسن. لكن يبدو أنه من نسيج خيالي.
- -: قـد بـتّ مُغشًـا عليـك ليـومين، ولازمتـك الحمـى وقتا طويلا، أمرُ رؤياك لهلاوس شائع جدا.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أومأت متفهما وقد حصلت على جواب السؤال الثاني قبل طرحه. أُغشِي علي يومين كاملين!، مناعتي فقدت رونقها فعلا!

حل صمت خفيف قبل أن أقطعه بسؤالي عن أهم شيء يؤرقني:

- (توم)، مؤخرًا حين أستيقظ من النوم يُصبح جسدي ثقيلا ولا استطيع تحريكه حتى ينقضي ما يُقارب الخمس دقائق، ما هذا؟

أجلس (جيسون) الصغير على فخذه الأيمن موجها جل تركيزه لي وقال:

- اشرح لي أكثر .
- -: يبدو كشلل نوم، إلا أنني لا أظنه كذلك. يكون جسمي متصلبًا متحجرا لمدة طويلة، وحين أتحرر من هذا الشعور، يبقى الألم يسبر أعضائي لوقت إضافي.
- وفي هذه الأثناء هل تكون واعيًا لما حولك، أم تراودك رؤى وأحلام؟ ، أي أتشعر أنك مستيقظ تماما وما حولك هو الواقع بحذافيره، أم تكون في منتصف الحلم والواقع وترى أشياء غير حقيقية؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- بل أكون في تمام وعي وأستطيع الإحساس بكل ما حولي غير أني لا أقدر على تحريك أطرافي.

صمت لثوان بسيطة يفكر ثم أردف:

- إنه شلل نوم.
- وهل يبقى شلل النوم لمثل هذه المدة الطويلة؟، سابقا حينما كان يزورني كان يلبث لمدة قصيرة أنهض بعدها مذعورًا غير راغب بالعودة إلى النوم أبدا، رغم أنه لم يكن يحدث إلا قليلا. الآن يؤاتيني كل يوم منذ أسبوع ونصف، وأشعر بأنه يزداد طولا كل مرة!، هل هذا طبيعي؟!

أجاب:

- يختلف طوله باختلاف العوامل المؤثرة، لكن لابد من معالجته بالطبع، لا سيما أنه يتكرر عليك كثيرا ...

وراح يسرد لي ما يُفتَرَضُ بي أن أفعل وألتزم به خلال الأيام القادمة حتى أتخلص من شلل النوم وأحافظ على صحتي.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

٦

وَمَضَتْ ثلاثة أيام إضافية في كنف عائلة (أورلن).

حلت عاصفة ثلجية على المدينة في الليلة التي تسبق رحيلي، ما اضطرني إلى البقاء في ضيافتهم وقتا أطول، وسنح لي بتوطيد علاقتي بهم أكثر .

هدأت العاصفة بالأمس فبدأتُ بتوضيب حاجياتي التي كان معظمها مما أهدتني إياه هذه العائلة اللطيفة؛ واليوم مع أُولى خيوط الشمس ركبتُ بجانب (توم) في سيارته بعد أن ودعتهم جميعا. بدا الأمر كتوديع عائلتي الحقيقية.

استغرقنا نصف ساعة حتى نصل، ودَّعتُ (توم) للمرة الأخيرة قبل ذهابه وطلب مني زيارتهم مجددا، بالطبع سأفعل.

وجدت سيارتي بعد بحث قصير وقد دفن معظمها بالثلج، أزلته بكفي وعند انتهائي شعرت بألم لاسع يتسلق أعصابي وصولا إلى مرفقي وقد تصلبت أطرافي، فركتُ يدي بشدة وأنا أنفخ فيهما ثم دخلتُ على عجل سيارتي، الجو قارس!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أدخلت المفتاح في مكانه وأدرته، أرجو أن تعمل...

لـم تعمـل؛ توقفـتُ قلـيلا ثـم أعـدتُ الكـرة.. ولـم تعمـل، رباه.. لا تتعطلي الآن وأنا مفلس تماما!

أدرته مجددًا ولحسن الحظ اشتغلت.

ريثمـا تسـخن، رحـتُ أتفحـص مـا بقـي لـي مـن نقـود. تنهـدت بقلـة حيلـة وأنـا أفـتح الصـندوق الصـغير الـذي أمـام المقعـد وأرمـي المحفظـة فيـه. لـيس وكأنهـا سـتزيد بـين ليلـة وضحاها دون عمل!

- ما هذا؟!

أمسـكت بالمحفظـة المطابقـة لخاصـتي فـي اللـون والشـكل، غيـر أنهـا مهترئـة وقـد جـار عليهـا الـزمن، عقـدتُ حـاجبي وأنـا أتفقـدها، لـم يكـن فيهـا قـرش واحـد، إلا أنهـا تحمـل ثـلاث بطاقـات؛ حـين أبصـرت البطاقـة الشخصـية للمالـك والتـي كانـت تحمـل صـورتي، تـذكرت أننـي فـي صـبيحة الثـامن مـن أغسـطس عرجـت علـى محـل كـي أشـتري محفظـة جديـدة قبـل التوجـه إلـى عملـي. وبسـبب تـأخري، نقلتُ المال على عجل وتركت الباقي لوقت آخر .

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أخرجت البطاقتين الأخرتين، وشعرتُ بحبور يغمرني وأنا أشاهد البطاقة المصرفية التي يمولها أبواي شكرتهما في سري على إجباري على أخذها رغم اعتراضي المستمر.

أعدت نظري إلى بطاقتي الشخصية، كيف لم أفقدها؟، بل وكأنني كنتُ أراها طيلة الوقت !

التقطت محفظتي على عجل وتفحصتها، لا يشغل الجيب الشفاف أية بطاقة، لكن خلفه يظهر الطرف العلوي لبطاقة شخصية؟!

صورة لشاب شديد الوسامة، أبيض البشرة أشقر الشعر، امتزج اللون الأزرق الفاتح بالرصاص في عينيه. يُدعى (ويليام بينفارت)،

طبعت عليها ..

يا للعجب شخص لم ألتقه صدفة حتى، ما الذي جلب بطاقته إلي ؟!؛ أخرجتُ البطاقة التي كانت خلفها، بطاقة إعلانية لمتجر مالكه يسمى (براين بينفارت). حينها استردَّت ذاكرتي ذكرى مهمة ..

المال الذي نقلته إلى المحفظة لا يتجاوز المئة، بينما ما وجدته عشية الثامن من أغسطس وأنفقت منه حتى الآن، قرابة السبع مئة!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

المال ليس مالي، والمحفظة ليست ملكي!

لا أدري أي خطب حصل وأوصل محفظته إلي، وأنا من لم أره في حياتي قط؛ لكن البحث عنه والاعتذار منه سيكون من أوائل ما سأصنعه.فور وصولي للمنزل.

***

بعد مضي ثلثي اليوم، أخيرًا أصبحت الطرق مألوفة، وصرتُ قادرًا على تخطيها دون الاستعانة بأحد، تبقى لي ما يقارب نصف يوم وأصل إلى والدي، غير أنَّ الليل قد حل، وبدأ النعاس يسيطر علي، ولدي ما يكفي من المال لئلا أستعجل، لذا ترجلت عند أقرب نزل لأبيت ليلتي فيه.

***

ما إن بدأت الشمس بتسلق السماء حتى ركبت سيارتي شاقا ما تبقى من الطريق، إنها المرة الأولى منذ مدة التي أقود فيها في مثل هذا الوقت،

وكل الفضل يعود ل (توم) الذي لم يتركني أغادر منزله إلا وأنا معافى من كل ما كنت أعانيه

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أبصرتُ اللوحة الترحيبية للمدينة التي يقطن فيها والداي حين حلّ العصر. وبعد قرابة العشرين دقيقة، ها أنا ذا أخيرا أقف أمام منزل والدي.

كطفل لقي والداه بعد طول غياب تملكتني السعادة والبهجة. أطلقت تنهيدة ارتياح وأنا أتأمل تفاصيل المنزل الصغير الدافئ، قبل أن أتخطى الدرجات القليلة وأقرع الجرس.

فمي لا يتوقف عن الابتسام، وبدأت أطرافي بالارتعاش من فرط الترقب والسرور.. كم لبثت !

فتح الباب ليطل من خلفه وجه سمح حنون أضناني الشوق لرؤيته..

اي كدتُ أرتمي في حضنه لولا أنه قال:

- من أنت؟

استغربت قليلا، وظننتُ أنه يرسل لي رسالة مبطنة مفادها أنني ابطأت عن زيارتها، فقلتُ وابتسامتي لا تزال على شفتي:

- ابنك (سام)؟!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

ظهر التعجب وعدم الفهم جليًا على وجهه، كأنَّما ينفي ما قلته!،

استقبالات أب عادة ما تكون غريبة، لطالما أحب أن يفاجئني بشيء جديد عند مجيئي، شيء يصدمني لدقائق حتى أستوعب الأمر، لا أتذكر أنه استقبلني مرة استقبالا عاديًا.

انبعث صوت أمي العطوف من الداخل، تسأله عمن طرق الباب، سرعان ما ظهرت بمحاذاته وهي تجفف يدها بمنشفة رمتها على كتفها بعد انتهائها، نظرت إلى ثم وجهت بصرها لوالدي وقالت:

- من هذا؟

خُطِفتْ ابتسامتي..

أمي لا تشارك في مزاح أبي مطلقا، بل إنه يتلقى توبيخا شديدا منها في كل مرة. ورغم أنني مقرب لوالدي أكثر، إلا أن المحبة التي تكنّها لي أمي أكبر، يستحيل ألا تستقبلني استقبالا حافلا في كل مرة، يستحيل ألا تتعرف علي!

أعدتُ رسم ابتسامتي وأنا أردف: إنه أنا يا أمي، (سام).

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

سطعت عيناها ببريق خافت وهي تتفحصني بتوجس، وكذا الحال مع أبي الذي يرمقني بنظرات حذرة وحاجبين معقودين. نظراتهما حائرة، مستغربة، خائفة ومتأملة.

كرر أبي بلهجة حادة ونظرات حارقة لم أعهدها منه:

- من أنت يا فتى ؟!

نطقت بوجل، متلمسا أدنى أمل :

- ما خطبكما؟ كأنكما لم تتعرفا علي!، إنني (سام)، ابنكما!

قالت أمي وقد اصفر وجهها وظهرت التعاسة عليه:

- يستحيل أن تكون ابني!

ثم وجهت لي نظرات غاضبة وهي تمسك بصدغيها قبل أن تعود إلى الداخل، تبعها والدي بعد أن ألقى على نظرة حانقة حاقدة وأغلق الباب في وجهي.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

بقيتُ في مكاني، أحدق في الباب بلا وعي وذهني شارد. منتظرا عودتهما ليخبراني بأنها مزحة كبيرة، وأن يقول أبي أنه أخيرًا استطاع إقناع أمي بمشاركته في خدعته . ثم يسألاني بقلق إن كانت مشاعري قد تأذت، لأخبرهما أنني لم أصدق من الأصل أي شيء. بقيتُ واقفا حتى اشتد البرد وبدأ الليل يسدل ستاره..

سرتُ أجر قدمي جرًّا، لا يستطيع عقلي تصديق ما جرى، ولا أجد له تفسيرًا . ركبت السيارة بهدوء وقدتُ بلا هدى.

حين كنتُ في العاشرة، دعاني أحد الأطفال للذهاب إلى منزله بعد انتهاء الدوام المدرسي، وراح يحكي لي عن كل المميزات التي يحويها منزله لأوافق على طلبه، ووافقت غادرت بصحبته بعد المدرسة ولكون اليوم الذي يليه عطلة لم أعد إلا في وقت متأخر من الليل؛ رأيت سيارة شرطة أمام منزلي، ورجالها في الداخل يتحدثون مع أبي، أمي كانت منهارة تبكي.على الأريكة، والجو مربك وخانق.

حين استشعر أبي وجودي رفع عينيه إلي ناطقا باسمي لتلتفت الأنظار نحوي، هرعت أمي إلي وحضنتني بشدة وهي لا تزال تبكي.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

تذكرتُ حينها أني لم أخبر والدي بذهابي، وأبقيتهما في خوف وهلع غير عالمين بمكان تواجدي طيلة اليوم، علمتُ أنني ارتكبت خطأ فادحا .

بعدها اختلفت معاملة والدي لي، بدأ بتجاهلي واحساسي بأنني شفاف غير مرئي، أو بأنني ابن الجيران الذي تركه أبواه عندهما وهما لا يرغبان بالاهتمام به، كان أقصى ما يفعلانه لي هو أخذي للمدرسة وإعداد الطعام لي. لم ينصتا إلي ولم يتحدثا معي مطلقًا.

ولما كنتُ معتادا على الحديث معهما طوال الوقت، ومشاركتهما في كل تفاصيل يومي ويومهما، انهرتُ باكيا معتذرا بعد أسبوع غير قادر على تحمل هذه المعاملة.

كان ذاك أقسى عقاب تلقيته طوال حياتي. أتساءل عن ماهية الجرم الذي ارتكبته حتى يتبرآ مني وينكرا معرفتي هذه المرة؟!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

ركنتُ سيارتي في المواقف المقابلة لأحد الفنادق، ترجلت بهدوء قاصدا الطرف الآخر. قواي نفدت وروحي صارت خاوية، وليس هناك من ألجأ إليه، لم أعد أدري ماذا أفعل سرت بهوادة لا أشعر بما حولي، طغى ضجيج أفكاري على سمعي حتى صرت معزولا عن البشر، ولم ينبهني من شرودي إلا بوق سيارة التفتُ فأعماني للحظات نور مصابيحها الساطعة؛ لمحت عن يميني،

السائق وتيبستُ في مكاني كنتُ أظنه وهما، خيالا أختلقه عقلي، لكن ها هو ذا أمامي!

إنه ذلك الطبيب المسن!

أصبحت السيارة قريبة جدا، ستصطدم بي وتودي بحياتي، لكن جسدي يرفض الاستجابة والتحرك.

سقطت على الأرض وأنا أرتجف حين سمعت صوت المكابح القوي، نظري مشتت وحبات العرق تكاثفت على جبيني ، الأصوات أصبحت بعيدة، ذهني مشوش، كما أنَّ صداعًا بدأ يغزو رأسي، وقلبي يكاد يخرج من شدة الخفقان.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

استعدت تركيزي حين أمْسَكَتْ يد ،بعضدي، نظرت إلى صاحبها وإذ به رجل مختلف عن ذلك العجوز تلفّتُ باحثًا عنه، وقطَّبتُ جبيني حين لم أره.

ساعدني الرجل على الوقوف وهو يقول:

- هل أنت بخير ؟

أومأت له بالإيجاب وسرتُ بخطوات واسعة إلى الفندق وأنا أتلفتُ يمنة ويسرى لعلّي ألمحه.

أين ذهب؟، إنّي متأكد من رؤيتي له، لم يكن هذيانا!، فكيف اختفى بهذه السرعة ؟

***

لم تعد هذه المدينة مدينتي، أضحت مكانًا غريبا كالتي كنتُ أسكن فيها، بل أصبحت هذه الدنيا غريبة علي، لم يعد لي فيها أحد.

كنتُ شخصًا منعزلاً طوال حياتي، لم أحظى بأصدقاء عدا (إيريك) الذي تعرفتُ عليه أثناء دراستي الجامعية، وقد تخلى عني، مثل ما فعل والداي من بعده.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

مـا يهـم الآن هـو أن أعيـد هـذه المحفظـة إلـى صـاحبها، هذا آخر ما

يتوجب علي حتى أبدأ حياة جديدة في مكان آخر بعدها.

كُتِبَ علـى بطاقـة العمـل تلـك، أن المتجـر يقـع فـي مـدينتي التي كنت أسكنها، سأذهب إلى هناك.

قـد تناولـت الإفطـار ثـم جمعـتُ حاجيـاتي القليلـة وهـا أنـا ذا أقـف داخـل المصـعد أنتظـر وصـوله إلـى الطـابق الأرضـي، فـتح بـاب المصـعد فخرجـت متوجهـا إلـى قاعـة الاسـتقبال، هنـاك رأيـتُ رجـل شـرطة يتحـدث مـع موظفـة الاسـتقبال، وفـي الخـارج تقـف عـدة سـيارات شـرطة قـرب المدخل.

كانـت القاعـة خاليـة، لـذا فـور دخـولي توجهـت أنظـار الشـرطي والموظفـة إلـيَّ، سـار رجـل الشـرطة بهـدوء نحوي وسأل بمهنية:

- هل لي أن أر بطاقتك الشخصية سيدي؟

لا أدري مـا الـذي يجـري أظنـه إجـراء أمنيًـا لا غيـر، لـذا أخرجـتُ بطـاقتي بهـدوء وسـلمته إياهـا . نظـر فيهـا عـدة ثوان ثم قال:

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- هلا تفضلت معي لمركز الشرطة.

قالها بنبرة آمرة لا تحتمل النقاش، لكن لأي سبب أجر لمركز الشرطة:

- وما سبب ذلك؟!
- ستعرف هناك.

وأمسك بعضدي يُسَيرني للخارج، حاولت أن أستشف منه السبب،

لكنه لزم الصمت وتجاهلني، فقررت السكوت والإذعان، لم أرتكب أي خطأ فلم أرتعب وأتصرف كمجرم ضال وقع في أيدي العدالة!

لمحتُ والداي يقفان على مقربة من إحدى سيارات الشرطة فور خروجي، أمي تراقبني بأعين باكية، وأبي يبدو عليه الإنهاك وكأنه لم ينم البارحة؛ لم يتدخلا ويُدافعا عني، لم يوقفا الشرطة عن أخذي ويستفسرا عن سبب هذا الفعل، اكتفيا بالمراقبة عن بعد فقط.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

فـي إحـدى غـرف التحقيـق أجلسـوني، مـرت عشـر دقـائق حتـى دخـل الغرفـة ذلـك الشـرطي وجلـس أمـامي، حـدق في بضع لحظات ثم قال:

- إذا ... (ويليـــام بينفـــارت) لـــم تنتحـــل شخصـــية (ساموِيل بينفت)؟!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

قبل ست وعشرين عاما أرادت أمي تسميتي بـ(سام)، وتلقى أبي هذا الاسم بالرفض القاطع، ثم اقترح نيابة عنه اسم (ويل)، ولم يرق ذلك الاسم لأمي أبدا؛ وبعد جدالات عديدة ومناقشات كثيرة قررا جمع الاسمين في اسم واحد ليصبح (ساموِيل).

أسر لي أبي ذات مرّة، في إحدى الأوقات الخاصة بالأب وابنه، أنَّ سبب رفضه لاسم (سام) هو أنه اسم شخص أُعجِبَتْ به أمي في الماضي؛

طبعا لم أجرؤ حينها على اخباره بأن ذلك الشخص كان يدعى (ساموِيل)!

لذا فضَّل والدي إلغاء الجزء الخاص بمنافسه ومناداتي بالجزء الأخير من اسمي (ويل)، فيما اكتفت أمي بالجزء الأول من اسمي – (سام) دون سبب معين؛ واختار أقربائي أن يدعوني بـ(ويل)، أما زملائي وبقية معارفي فاختاروا اسم (سام) لينادوني به. ولم أسمع اسمي الكامل إلا من أفواه الطاقم التدريسي فقط.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وهكذا نشأت معتادًا على ثلاثة أسماء : (ويل)، (سام)، و(ساموبل).

اليوم فقط علمتُ بوجود اسم رابع لي لم أدر بوجوده قط (ويليام بينفارت)!

***

أعاد على نفس الوتيرة:

- لماذا تنتحل شخصية (ساموبل) يا (ويليام)، وأين هو الآن؟

انعقد لساني، وشَلَّتْ الدهشة تفكيري. بقيتُ أحدق به بأعين متسعة دون أن أنطق ببنت شفة، لم أستطع الإجابة، بل لا أدري بم أجيب!.

يسأل عن (ساموبل) وهو أمامه، يتهمني بانتحال شخصيتي ويطلق علي اسما آخر ؟!... ما الذي يجري؟!!

بعد صمت قصير قال وقد بدأ صبره بالنفاد :

- تحدث، أين ابن (بينفت)؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

نطقت بصوت خرج منخفضا وإحساسي ينبئني أن هذه المحادثة لن تنتهي بخير :

- أمامك !

أطلق ضحكة ساخرة قصيرة

- لا زلت تلعب هذه اللعبة؟، لقد كشفت جميع أوراقك ولا أمل بأن تفوز فيها خير لك أن تعترف إلى أين أخذت (ساموبل)، ومن كان شريكك ؟

أكاد أقسم أنه يتحدث بلغة غريبة أجهل كنهها، لا أعرف عما يتكلم أو إلى ما يُشير، عاجز تماما عن فهمه !

قلت بصوت حاولت جعله ثابتا :

- لا علم لي بما تقول، لكنني (ساموبل بينفت).

وضع مرفقيه على الطاولة التي بيننا جامعا كفيه في قبضة، ثم أراح ذقنه عليها :

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- اسمع، والدا ذلك الفتى بذلا كل وسيلة للعثور عليه، وهما الآن ينتظران خارجًا على أمل أن أستل منك معلومة عن موقع ابنهما. مشاركتك إياي المعلومات التي تملكها ستخفف عنك العقاب وأنت تعلم ذلك، فلا تُطل.. أخبرني عن (ساموبل)، إلى أين أخذته؟

يكاد عقلي ينفجرا، لا أفهم شيئًا مما يجري، لم لا يصدق أني (ساموبل)، وماذا يعني بكلامه هذا كله؟

قلت: ما الذي يدفعك للشكِ بأنني لست (ساموبل)، لقد أريتك بطاقتي، التعريف الرسمي الخاص بي، ماذا تريد أكثر من ذلك؟

- تلك التي تخص من لا ترغب بالإفصاح عن مكانه؟ .. لن تجني خيرا من تكتمك هذا يا (ويليام)، ستزج في السجن لسنين سيرهقك عدها، تحدَّث!

هززتُ رأسي رافضًا ما يدلي به:

- لا شأن لي بمن تظنني لست سوى ابن فيودور بينفت المدعو (ساموبل)، لستُ هذا الذي ظللت تناديني باسمه منذ البداية، لستُ هو ولن أكون!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

حك حاجبه الأيمن وهو ينظر إلى الساعة التي تحيط معصمه الأيسر :

- لن تتعاون إذا..

ثم استقام فجأة وتوجه نحو الباب وهو يقول:

- سنرجئ حديثنا لجلسة أخرى، فلا أملك وقتا كي أضيعه.

خرج ودخل مباشرة بعده شرطي اقتادني إلى مكان آخر، حيث قدَّم لي لبس السجناء وأخذ خاصتي ، ثم قادني إلى زنزانة حوت ثلاثة غيري.

***

مضى يومان وأنا محتجز في هذه القضبان الحديدية، بالأمس جاء ذلك المحقق لمقابلتي، طرح ذات الأسئلة مجددًا فحصل على الأجوبة نفسها،

أخبرني حين لم أخضع لضغطه والاعتراف بأنّي شخص آخر، أنَّ عواقب فعلتي ستكون وخيمة، لكن لا أبالي . قد فقدت خلال هذا الشهر الكثير صحة وذاكرة، عائلة وصديق، عمل ومسكن. جميعها انسلَّتْ من يدي انسلال الماء من فراغات الكف دون أدنى قدرة على التمسك بها؛ وها قد جاء الدور على هويتي، كل ما

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

تبقى لي من هذه الحياة البائسة، لكني لن أسمح أن تضيع مني مثل ما ضاع غيرها.

سألته وهو على وشك الخروج، عما حدث ل(ساموبل)، فقال لي أنه مختف منذ مدة، والأدلة القليلة التي وجدوها تُشير إلي.

أي جنون هذا الذي أعيشه!

باغتتني عدة سعلات عنيفة اهتز معها جسدي، الجو بارد والتدفئة هنا سيئة، علاوة على الأغطية الخفيفة التي لا طائل منها. التفتُ أقابل الجدار وأشدُّ اللحاف على جسدي مناشدا الدفء، وأصوات شركاء زنزانتي الذين يلهون بلعبة ما تصم أذني.

خائر القوى، أغمضت عيني طلبًا لبعض الراحة، على النوم يخطفني من هذا الواقع المرير ثمَّ يتكرم بإلقائي في واقع أقل مرارة، وما كاد وعيي يغيب وإذ بصوت حارس يُرْجِعُهُ إلى الواقع، اصطحبني إلى غرفة التحقيق مرّة أخرى. خلتُ أنَّ ذلك المحقق قد يئس بعد جلسة الأمس، لكنه يبدو ذو نفس طويل لا يستسلم بسهولة.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

كـالمرتين السـابقتين، جلسـتُ أنتظـر دقـائق معـدودة قبـل أن ينضـم إلـي المحقـق. نظـرتُ إليـه فـور دخولـه، دهشـت واكفهـر وجهـي؛ لـم يكـن ذات المحقـق بـل شـخص آخـر أعاد لي ذكريات مريرة..

هذا ما كان ينقصني !

إنـه الشـاب الـذي كـان بصـحبة ابنـة السـتيني فـي المقهـى، والـذي يشـبهه شـبها كبيـرا وكـأني أنظـر لـه فـي شـبابه. مـا الذي جلبه إلى هنا؟، ولم حضر للقائي ؟!

تعقيـدة بسـيطة ظهـرت بـين حاجبيـه حـين أبصـرني، سـرعان مـا اختفـت لتعـود ملامـح وجهـه إلـى طبيعتهـا. استهل بعد أن جلس أمامي:

- أدعـى (إيثـان ماكنيـل). قـد حضـرت فيمـا سـبق بضـعة جلسـات مـع شـريكي، لكـن منـذ الآن أنـا مـن سيتولى الأمور.. (ويليام بينفارت).

نطق جملتيه الأخيرتين بابتسامة.

اتسـمت بسـخرية وتعـب. إذا هـو ابـن ذلـك العجـوز ،فعـلا، لاريـب فالشـبه بينهمـا كبيـر. يـا إلهـي أنـا حقـا مجهـد ولا طاقة لي على جدالهم، ومع ذلك أجبت:

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- إنّــي (ســامويل بينفــت)، لــن تتغيــر هــذه الحقيقــة ولــو جاء مئة غيرك!

أردف بالابتسامة ذاتها :

- حســنًا، علــى افتــراض أننــا ســلَّمنا بكونــك ابــن (بينفــت)، هــل تعــرف صــاحب اســم (ويليــام بينفارت)؟
- كلا
- عجبا!، رغم أن محفظتك تحوي بطاقته الشخصية!
- لــم أنفــي وجودهــا عنــدي لكننــي لا أعــرف ذلــك الشخص، أظننا تبادلنا المحفظتين بعد اصطدامنا.
- أين؟
- لا أعلم.

تبدلت ابتسامته لأخرى ساخرة وأخذ يقول:

- حياتــك مــلأى بــالغموض ألــيس كــذلك ســيد (بينفارت)؟!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

أفلتَ زِمَامُ صبري من يدي، فرددت بغيظ تملكني :

- ما كانت كذلك قبل أن ألتقي بوالدك!..

ظهرت تقطيبة بسيطة على جبينه مُحيَّتُ مع اتساع عينيه قليلا، ثم سرعان ما اختفت هذه التغييرات. يبدو أنه تذكرني الآن.

أكملت: منذ أن لقيته عشية الثامن من أغسطس وحياتي تتخبط دون هوادة، شُبعت أيامي مصائب وخيبات أمل منذ تلك الليلة.

هذه المرة التقطيبة التي ظهرت بين حاجبيه كانت أشد، بدت الحيرة والدهشة على محياه، قال وقد بان التيه في صوته:

- أقلتَ الثامن من أغسطس ؟
- بلى.

سكت لبضع لحظات ثم قال:

- هلا أخبرتني في أي يوم نحن؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

استغربت سؤاله، لكن إن كانت الإجابة عليه ستخلصني من الجنون الذي أعيشه فلا ضير :

- نحن في التاسع والعشرين من شهر أغسطس.

شككت في جوابي حين تضاعفت أمارات الصدمة على وجهه، بدا مذهولا جدا لما سمعه، عاد ليسأل:

- وهل تتساقط الثلوج في أغسطس يا ويليام)؟

أثار سؤاله شيئًا في داخلي أجج غضبي، إنه أحد الأمور التي عجزتُ عن فهمها، كيف لشهر حارٍ أن يتحول إلى صقيع لا يطاق، ونحن نعيش في شمال الكرة الأرضية لا جنوبها!

أجبته باحتدام يغزو صوتي:

- لا أدري، قل لي أنت!

ظل يحدق بي بصمت لهنيهة، ثم أردف وقد تغيرت نبرته للجدية:

- قُصَّ على ما جرى ذلك اليوم، ابدأ منذ البداية إذا سمحت.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

لا أفهم غايته من ذلك، ماذا سيستفيد من سماع نظام أيامي المتكرر؟

قلتُ وأنا أسترجع ما جرى

- مثل سائر الأيام استيقظت تمام التاسعة صباحًا، وخرجت من سكني في العاشرة، وقد كنت متأخرا قليلا، مررتُ بمتجر لأبتاع محفظة جديدة، ثم توجهتُ إلى عملي. أعمل في المكتبة العامة التي تفتح أبوابها عند التاسعة صباحًا، لكنَّ وقتَ عملي يبدأ عند الثانية عشر ظهرا، لذا ومنذ الثانية عشر وحتى التاسعة مساءً كنتُ في العمل، بعدها خرجتُ متوجها إلى شقتي...

كنتُ على وَشَكِ أن أؤكد له أن لا شيء مهما قد حصل، حتى أدركتُ ما كان مغيبا عن ذهني..

أتذكَّر على نحو جيد خروجي من المكتبة وسيري على الطريق المعتاد متوجها إلى سيارتي، وقد كان الجو معتدلا؛ كما أتذكر بوضوح عبوري في ليلة مثلجة الشارع حتى أصل إلى الجهة التي تحوي المكتبة. كلا الحدثين وقعا عشية الثامن من أغسطس... كيف يعقل ذلك؟!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

انبعثت الصور في عقلي وتصادمت مكونة صداعًا يضرب خلايا دماغي. في الحدث الأول كنتُ أرتدي ملابس صيفية، وفي الثاني كنت أتسلح بمعطف ووشاح؛ في الصورة الأولى أخرجتُ مفتاح سيارتي حين اقتربت منها، وفي الثانية لم أجده في جيوبي وأخذت الاحتياطي؛ في المرّة الأولى لم أركب سيارتي، وفي المرة الثانية كنتُ أشقُ الطريق بها نحو شقتي!

تفاقم الصداع وأضحت الرؤية ضبابية، سندتُ رأسي بكفي حتى أستعيد تركيزي، حينها نطق هو :

- هل أنت بخير؟

صوته أعادني لوعيي، نقلتُ بصري في المحيط الذي أمامي ونبضات قلبي تستعيد نظامها حتى ثبتها عليه، لم أنطق ببنت شفة إلى أن سأل هو :

- هل أصبحت أفضل الآن أم أستدعي الطبيب؟

هززت رأسي بكلا وقلت بصوت خَرَجَ متحشرجا

- لا داعي لذلك.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- إذا فلنكمل. أخبرني بما تذكرته يا (ويليام)؟
- لست متأكدا إن كانت ذكرى.. عقلي مشوش للغاية.
- أنا أُنْصِتُ.

حدثته وقد قلت ضغينتي تجاهه، عن المشهدين المتناقضين اللذين من غير المعقول أنهما حدثا في ذات الليلة، غير أنّي لا أتذكر هما إلا هكذا!

طلب مني أن أُعطيه المزيد من التفاصيل، وأن أحاول تذكر المزيد من الأحداث.

وقد حاولت بكل جهدي أن أتذكر المزيد، لكنَّ الأمر لم يفلح.

ماذا جرى بعد اقترابي من سيارتي في المشهد الأول؟، وما الأحداث التي تسبق خروجي من تلك السيارة وعبور الشارع في المشهد الثاني؟،

لا أذكر، ولو حتى القليل من الأمور.. لا أذكر ..

سألني حينها أن أصف له الزقاق الذي أركن سيارتي فيه عادة، وفعلت هذا الشيء الوحيد الذي استطعت الإدلاء به.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

امتلأ الجو بالسكون، هوَ يُدَوِّن ما أخبرته في مفكرته، وأنا أنظر له فحسب، قد تسلل الصداع إلى عقلي مجددًا، وكل محاولاتي في التذكر فشلت، لذا آثرت الاستسلام.

كنتُ أتابع حركة يده وهي تخط الكلمات، حينها فجأة جلب عقلي ذكرى منسيَّة: كنتُ أعبر الزقاق الضيق الذي ركنتُ فيه سيارتي، حين ظهرت من الجهة الأخرى سيارة رباعية الدفع تنطلق بسرعة، أصبحت !

شديدة القرب مني في لحظات، كانت إضاءاتها الأمامية بيضاء ساطعة مما الم عيناي وجعلني أشيحُ بوجهي، غير أني استطعتُ لمح من كان يقودها.. لقد كان ذلك الطبيب المسن!

لم يكن وهما ناتجا عن إصابتي بالحمى، كان حقيقيا!، وأظنُّ أنَّ تلك المقتطفات القليلة التي أتذكرها تتعلق بشكل أو آخر بما يجري هنا، بل إنّي أتذكر الآن أن سيارته تلك هي التي خرجت منها ليلة الثامن من أغسطس!

أخبرت المحقق بهذه الذكرى، وبالمقتطفات الأخرى التي كان فيها ذاك المسن يرعاني، وقد أنصت باهتمام

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

حتى النهاية، بعدها أنهى الجلسة على عجل وخرج. أرجو أنه وَجَدَ ما سيخرجني من هذا المكان.

٨

مضت سبعة أيام منذ تلك الجلسة لم أسمع خلالها خبرا، وبشكل غريب لم تعقد جلسة تحقيق فيها، كما لو أن ذينك الاثنين تخليا عن الأمر، أو ربما أنا من أستعجل الأمور...

تابعت ببصري شريكي في الزنزانة الذي يحتل الفراش العلوي الآخر وهو يُخرجُ طبشورًا مخبأً أسفل وسادته، ثم يرسم خطا على الجدار قُرب حزمة من الخطوط الأخرى، كعادته كل يوم؛ هبط بعدها لينضم إلى الاثنين الآخرين، فيما رحتُ أنا أعد الخطوط التي نُقِشَتْ منذ حضوري..

كعادتي. آملا أن لا تصل أيامي لعدد أيامه التي خطها هناك.

أبقيتُ نفسي منعزلاً خلال الأيام المنصرمة، متجنبا أي تعارف يلوح في الأفق، لا حاجة لي به.. بل لا يفترض أن أحتاج!، حري بهذه المصيبة أن تنجلي في أسرع وقت، لا أنا بمجرم ولا مخطي حتى أبقى هنا!

ماهي إلا دقائق ودخل الزنزانة أحد الحراس مناديًا علي، تبعته بخطوات بطيئة، فقد غزت الحمّى جسدي

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وزاد خمــولي وســعالي خــلال الأيــام الماضــية، لتتحــول كل جهود (توم) في معالجتي إلى هباء منثور.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

دخلتُ غرفة التحقيق في ذات اللحظة التي دلف فيها ابن الستيني من الباب الآخر، أشار لي بالجلوس ففعلت. جلس أمامي وراح ينظر لي بصمت لهنيهة ثم تحدث بهدوء:

- أتعلم كم لبث والداك يبحثان عنك يا (ساموبل)؟

شُدِهت، وكأني سمعتُ شيئًا خطأ، أنَطَقه سهوًا ؟، أم هذا هو تأثير الحمى؟، أم لشدَّة رغبتي بسماع هذا الاسم مجددًا هُيِّي لي أنه نَطق به؟!

نطقتُ بتعجب:

- ناديتني باسمي ؟!

تبسم قائلًا: ولِمَ كل هذه الدهشة أوَلست (ساموبل)؟

هززتُ كتفيَّ حائرًا :

- لا أعرف نفسي باسم آخر، وهذا ما ردَّدتُه كثيرًا، لكنكم لم تُصدقوه!
- نحن نُصدِّق الآن.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

بـدا أنــه قالهــا ليُطَمئِنَنــي، غيــر أنــي بقيــتُ مــذهولًا ولــم أصدِّق ذلك، وشعورٌ بدأ يتفاقم داخلي بأنه كمين!

جذبني صوته للواقع مجددًا حين أردف:

- أكثر من ستة أشهر ..

عكفت حاجبيَّ بعدم فهم، فأكمل:

- ظــلَّا أكثــر مــن ســتة أشــهر يبحثــان عــن أي دليــل يوصلهما إليك!

طالعته باستغراب:

- ولِمَ قد يفعلان وقد كنتُ على تواصل معهما طوال هذه الأشهر الست؟!

تبسَّم وهو يقول:

- قيــل لــي أنــكَ لــم تحــدثهما منــذ حــوالي الســابع مــن أغسطس، ولم يسمعا منك خبرًا لشهر بعدها، حتى أنك تخلفت عن الموعد الذي عزمت زيارتها فيه .

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

زاد استغرابي وتعجبي لاختلاف الحقائق التي لديه عن التي وقعت فعلًا:

- أبدًا، لم أتوانى عن التواصل مع والدي حتى فقدتُ هاتفي. وكان ذلك قبل قُرابة الأسبوعين من زيارتي لهما، والتي كانت قبل الموعد بعدة أيام!
- متى فقدتَ هاتفك ؟

سكتُّ لهنيهة أتذكر أي يومٍ كان، ثم قِلت:

- في التاسع من أغسطس، أدركتُ فقدي له بعد خروجي من شقتي التي سكنها والداك.

وكدتُ أقول "احتلها " لكني ابتلعتُ تلك الكلمة.

سأل:

- لماذا تظن أنَّ ذلك كان في شهر أغسطس؟

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- لأنــه لا ينبغــي أن يــدخل ســبتمبر بعــد مُضــي أيــام قلائـل مـن حلـول أغسـطس، كمـا أننـي رأيـتُ التـاريخ ذلك اليوم.

ابتسم بخفة وهو يقول:

- هـذا يعيـدني إلـى السـؤال الـذي لـم تجـب عليـه مسـبقًا. كيف يكون أغسطس مثلجًا؟

أجبتُ بانزعاج: أخبرتك بأنِّي لا أعلم.

أردف بـذات الابتسـامة : ذلـك لأنـه لـم يكـن أغسـطس.. بـل فبراير.

بنبرة ساخرة قلتُ: هل تتوقع منِّي تصديقك؟!

- لا، ولكني أتوقع أن تصدِّق هذا.

قالهـا وهـو يُخـرج هاتفـه مـن جيـب معطفـه، ثُـمَّ أرانـي التاريخ الذي يُظهِرُه.

الثامن من مارس !!

هذا غير معقول البتة!، يفترض بأننا في سبتمبر!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

ضيقتُ عينيّ وأنا أنقل نظري من الهاتف إليه :

- أتُريد أن تقول لي أنَّ ستة أشهر طُويَت ومُحيَت من الوجود!، وأننا فجأة أصبحنا في مارس؟!

أردف بهدوء كأنما يُقنِع فتًى صغير:

- أتذكر حين التقينا في المقهى؟ كان ذاك حين زرتُ عائلتي، أخبرتني شقيقتي حينها أنَّ شخصًا غريبا قدُمَ وافتعل ضجة كبيرة مدعيًا أنَّ الشقة له قبل يومين، أي في الثامن من فبراير.

وحين قلتَ أنَّ حياتكَ قُلِبتْ منذ لقيتَ والدي يوم الثامن من أغسطس، تعجبت . إذ أنَّ ذاك الموقف لم يحدث في أغسطس أبدًا. ثُمَ تذكرت أنَّ آخر يوم حضر فيه (ساموبل بينِفِت) للعمل وِفق ما علمناه من مقر عمله هو الثامن من أغسطس عندها خطرت لي فكرة غريبة:

ماذا لو كنت فعلا (ساموبل بينفت)؟

لجأت إلى أشرطة مراقبة حصلت عليها بصعوبة للمكان الذي ذكرتَ أنك معتاد على إيقاف سيارتك فيه، نظرا لكونه لا يقع ضمن نطاق أي كاميرة مراقبة. رأيتُكَ وأنت تسير بتؤدة داخلا ذاك الزقاق، ولم تخرج بعدها من أي الجهتين. وبعد إعادات عدَّة للأشرطة التي تظهر الجانبين،

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

لاحظت سيارة تدلف ذاك الزقاق من الجهة الأخرى بعد لحظات من دخولك الجهة الأولى، ولخمس دقائق بقيتْ داخله ثم خرجت من حيثُ دَخَلْتَ أنتَ، لكنَّ عبور ذاك الزقاق لا يستلزم كلَّ هذا الوقت!....

وتوقف عن الحديث فاتحا الملف الذي لازمه منذ بداية اللقاء، أخرج من تحت رزمة الأوراق تلك صورة سلمني إياها سائلًا:

- هل تعرف هذا الشخص ؟

أمسكتُ الصورة ممعنًا فيها، وراح عقلي يعرض رؤى متفرقة تحمل الشخص الذي بداخلها. أجبتُ :

- إنه المسن الذي كادت سيارته تصطدم بي.
- أهو ذاته الذي رأيته في تلك المقتطفات يرعاك ؟
- نعم هو .

هزّ رأسه بتفهم واسترسل مكملًا:

- حين تتبعتُ معلومات تلك السيارة أوصلتني إليه. إنه جراح تجميل شهير يُدعى (ستيفن وولز)، وحقيقة الأمر.. هي أنَّ سيارته اصطدمت بك مُلقيَةً إياك في غيبوبة طالت لستة أشهر .

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

توسعت عيناي صدمةً في حين تابع هو :

- كان في خضم قضية تهدد مستقبله المهني حين اصطدم بك، لم يرد أن يزيد أمرك من تعقيد وضعه فأخذك واعتنى بك في منزله، ظنًا منه أنك ستفيق بعد بضعة أيام؛ لكنَّ أيام سُباتك طالت فأراد التخلص بعد مدة، إلَّا أنه لم يستطع . لأن اسمك وصورتك نُشِرا على نطاق واسع بفضل والديك اللذين يَئِسَا من الشرطة ولجآ إلى عامة الناس، آملين أن يلمحك أحدهم فيدلها عليك.

ولعلَّه خشيَ أن يراه أحدٌ وهو يتخلص منك فيقع في معضلة لا خلاص منها، ففضل المضي في طريق أأمن وأضمن...

أركزَّ مرفقيه على الطاولة وجمع كفيه في قبضة وعيناه مصوبة نحوي:

- أتعلَمُ ما الآثار المترتبة على الإفاقة من غيبوبة يا (ساموِيل)؟

هززتُ رأسي نافيًا، فقال:

- حين يتعرض المرء لإصابة قوية في الرأس تُدخِلُهُ في غيبوبة مثل ما حدث لك، قلَّ من ينجو منها، لا سيما إن طالت كما طالت غيبوبتك. وإن نجي،

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

تتـأثر وظائفـه العقليـة غالبًـا، فقـد تواجهـه مشـاكل فـي التركيز والإدراك والتحدث، وقد يفقد ذاكرته

فقلت:

- ولكن أيًا من هذا لم يحدث لي !

أو ربما حدث..

بلـى.. فقـدتُ المقـدرة علـى الكـلام لعـدة أيـام حـين كنـت بضـيافة عائلـة (أورلـن)، ولـم أسـتطع تـذكر الطـرق المؤدية لمدينة والديَّ!

قال:

- غيـر أنَّ هـذا مـا اعتقـده هـوَ (وأشـار برأسـه لصـورة المسـن) ظـنَّ أنـك ستسـتيقظ جـاهلًا لمـن تكـون وأيـن كنـت وسـتمتلك أسـئلة جمّـة يستحسـن أن يجيـب عليهـا والداك.. الجديدان، السيد والسيدة (بينفارت)!

زوجـان محبـان لـم يرزقـا باطفـال وحصـل أن كـان السـيد (بـراين بينفـارت) صـديقًا مقربًـا مـن (سـتيفن وولـز)، فنَسَـجَ الأخيـر حكايـة محكمـة عـن فتـى مسـكين يتـيم فقـدَ والـداه فـي حـادثٍ أوقعـهُ فـي غيبوبـة ، ولـم يسـأل عنـه احـد منـذ تلـك الحادثـة، إذ يبـدو أنَّـه لا يملـك أقربـاء، فضـلًا عـن أنـه سـيكون فاقـدًا لذاكرتـه حـين يُفيـق. ودعَّـم قصـته

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

بـالكثير مـن التفاصـيل والمشـاعر والتعـاطف، حتـى نقـل إحساس الشفقة لصاحبه (براين بينفارت).

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وكانت زوجة (بينِفارت) طريحة الفراش ضعيفة البدن، حكَى لها زوجها عن الفتى اليتيم كثيرًا حتى حنَّت له وعَطْفَتْ عليه وتمنته ابنًا لها، كما تمناه هو، فاقترحا تبنِّيه وشجعهما (ستيفن) على ذلك.

لقد استيقظتَ بعد خمسة أشهر من السبات، لكن (وولز) حينها لم ينفذ كل مخططه بعد فجعلكَ تمكثُ لشهرٍ إضافي، بعدها نقلكَ إلى أبويك الجديدين، وكان من المفترض أن تستيقظ عندهما فاقدًا للذاكرة جاهلًا لكل شيء ويبدآ بتذكيركَ واحتوائك. إلا أنك حطَّمتَ مخططه بأكمله حين أفقتَ ذاكرًا لِكلِ شيء مدركًا لهويتك ومستوعبًا لما يجري، وخرجت من سيارته.

شددتُ قبضة يدي محاولاً التحكم في غضبي الذي استعر. عشتُ أيامي متخبطاً بسبب . شخصٍ لم يرد الاعتراف بجريرته، خشيَّ أن تُدَمَّرَ حياته فدمَّر حياتي عوضًا عنها ! ، وبقيتُ بسببه ضائعًا حائرًا لا أدري ما الذي يحصل وماذا أفعل ! تبًا لها.

ومع كل ما قاله تبقتْ أسئلة جمَّة تثير الضجة في عقلي، لا يزال هناك ما يحيرني:

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- لِـمَ أقـدمَ علـى مـا أقـدمْ والنـاس سـتتعرفُ علـيَّ وقـد يُخبِرُ أحدهم عنِّي، لا أجد معنى لِما فعل ؟!

حدق فيَّ اللحظات ثم قال:

- دعنـي أُخمِّـن، آخـر مـرة نظـرت إلـى نفسـكَ فـي المرآة كانت قبل هذه الأحداث ؟

لـم أُجِـبْ، شـيءٌ مـا شـلَّ لسـاني، وشـعرتُ بضـيق غريـب فـي صـدري، أخـافني مـا قالـه، ولا أظننـي مهيـأً لمـا سيقول.

حـين أدرك أننـي لـن أجيـب أمسـك بهاتفـه وشـغل الكـاميرا ثـم حولهـا للأماميـة ومـدَّهُ لـي. تـرددتُ فـي التقاطـه، فكـرة النظر إلى نفسي الآن ترعبني،

لا أرغب في ذلك!

تسـلمته بوجـل، وبـطء حركـتُ عينـيَّ نحـوه لأرى انعكاسـي لـي شـعر أشـقر نـاعم منسـاب ورثتـه عـن والـدِي، وعينـان يتفـرع اللـون الأزرق الفـاتح مـن بؤبؤتيهـا ليلـتحم بتناسـق مـع الرمـاد الـذي فـي أطرافهـا مـن والـدتي، وبشـرة بيضـاء لا تشـوبها شـائبة، إلا أنّـي بالكـاد أُصـنف مـن ذوي الجمـال المتوسـط. وهـذا الـذي تُظهِـر الكـاميرا صـورته لـه عينان كعينيَّ

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

وشعر وبشرة بلون خاصتي، إلا أنه شديد الجمال! ولا يشبهني بأي شكلٍ من الأشكال !

تحسستُ بيدي وجنَتِي غير مصدق أنَّ هذا الوجه لي، مُحال!، هل عدتُ للهلوسة؟!، كيف يُعقل هذا؟!

وجَّهتُ عينيَّ الملأى بالتساؤل نحوه مشدوهًا، ولم أحتجْ لنطق شيء، كانت نظراتي وملامحي تحكي كل شيء تحدَّثَ:

- كما ترى غيَّرَ من شكلك لتناسب الهوية التي صنعها لك وتمضي خطته بسلام.

عدتُ لأطالع نفسي وعقلي يستعيد ذكريات الأيام المنصرمة، حين تجاهل (إيريك) استجدائي به، وتصرف (نايل) كأنَّنا لم نلتقي من قبل، ونفى والداي كوني ابنهما، كان ذلك لأنهم لم يتعرفوا عليّ لا إنكارًا منهم لي!، أنا نفسي أجدُ صعوبة في تقبل أنَّ هذا أنا !

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

لكن كيف لم أنتبه لهذا قبلًا؟ كيف لم ألحظ هذا التغير ربما لأن هيأتي هي ذاتها ولم يتغيَّر فيَّ إلا ملامح وجهي فلم أفطن لهذا التحوُّل !

- لقد حرصَ أن لا تجد ما يَدُلُّك على شخصِكَ السابق، فغير شكلك وجرَّدك من هاتفك ومفتاح سيارتك وأشياء أخرى قد تُسهم في تعرُّفِكَ على ذاتك.. لكنِّي متعجبٌ كيف تغاضى عن أهم شيء، بطاقتك الشخصية !

قلتُ:

- لم تكن في محفظتي، قد تركتُها سهوًا في المحفظة القديمة. حتى هاتفي لم يحصل عليه، كان بحوزتي.

نظر لي باستغراب ونطق بشك:

- هل أنت متأكد؟
- نعم

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

- لكنك قلت أنك فقدته؟
- بلى، كان معي في البداية ثُمَّ فقدته.
- أين؟
- لا أدري.

هز رأسه نافيا وابتسم:

- لم يكن معك يا (ساموبل) بل عِندَ (وولز) وقد استعدناه بعد أن قبضنا عليه.

عكفت حاجبي استغرابًا وقد تشوش ذهني:

- لكنني استعملته وكدتُ أتصل على أحدهم به!

أجاب:

- لقد لبثت في الغيبوبة وقتا طويلا، وتعرضت لكمية كبيرة من المخدر، أمر اختلاط وعيك ورؤيتك لهلاوس طبيعي جدا، لم تكن بكامل قواك الإدراكية حينها. إنّي منذهش أنك استطعت قيادة سيارتك إلى مسكنك وأنت بتلك الحالة دون مشاكل!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

ذُهلتُ، هذا يفسر بلا ريب كوني لم أعثر عليه في أي مكان، لكني مذهول من دقة خطة ذلك المسن، ومحاولته الجادة في أن لا يهمل شيئًا ولو كان صغيرا، رغم أن مظهره يوحي بأنه شخص طيب مراع لن يقوى على إيذاء نملة !

حل الهدوء بيننا للحظات، هنالك فوضى عارمة في ذهني أحدثتها هذه الجلسة، أحاول استيعاب حقائق الأحجية التي كنتُ فيها، أربط الأمور واضعا كل قطعة في مكانها المناسب، حتى تكتمل الصورة وأتأكد من فهمي لها...

مهلا!، لا تزال هنالك قطع ناقصة.

سألت:

- ما الذي جعلكم تعتقدون أنني أملك معلومات عن (ساموبل)؟

قال بابتسامته المعهودة:

كنت تتصرف على سجيتك غير عالم بتغير هويتك، فتصرفت (ساموبل) رغم كونك في ذلك الوقت (ويليام بينفارت). وَرَدَنا نبأ من مديرة المكتبة العامة أنَّ أحد موظفيها وقع باسم (ساموبل بينفت) بدل

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

اسمه، ثُم اتضح أنه الموظف الجديد المدعو (ويليام بينفارت)، لم نستطع الوصول إليك حينها لأنك كنت قد غادرت المدينة، ثُمَّ بعد أسبوع جاءنا خبر من المصرف بأن البطاقة التي أبقاها والداك فعّالة قد استخدمت.

وبعد تفحص أشرطة المراقبة رأينا موظف المكتبة ذاته، وقد كان يقود سيارة ابن (بينفت). وحُسِمَ الأمر حين ذهبت لوالديك تُخبرهما أنك ابنهما. تيقنا عندها أن هذا الغريب يعلم الكثير عن (ساموبل بينفت).

- وماذا عن المكتبة؟ لا أستطيع أن أفهم.. لقد دخلتها وقمتُ بعملي دون أدنى مشكلة، أعلم أنهم ظنوني شخصا آخر، لكن وفي المقام الأول... كيف وُظُفْتُ هناك بتلك الهوية إن كنتُ غائبا عن الوعي قبلها ؟!

أجاب:

- السيد (بينفارت) سعى لذلك. إنه رجل بسيط يكسب قوت يومه من محله المتواضع، ولا يجني منه الكثير؛ أراد مستقبلا أفضل لك فراح يبحث عن وظيفة بمرتب جيد ودون تعقيدات من أجلك، رغم محاولات (ستيفن) الكثيرة لردعه عن هذه الفكرة، متحججا بأنك

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

ستستيقظ مرهقاً لا تقوى على الحركة فلا طائل من البحث عن عمل لك في الوقت الراهن، إلا أن (براين بينفارت) أصر على ذلك، وقاده القدر لتلك المكتبة.

عاد السكون ليغزو الجو، عجزت عن الكلام، عقلي يضُحُ بالافكار والكلمات تخلت عني، لم أدري ماذا أقول!

حين رأى أنني لا أنوي سؤاله عن المزيد، تكلَّمَ:

- أردتُ إخبارك بكل هذا قبل أن تخرج، حتى تكون على بينة، وتتضح الأمور بالنسبة لك، ليس لدي ما أُضيفه، أظنني شرحتُ كل شيء؛ والداك بانتظارك يا (ساموبل)، إنهما متشوقان للقائك..

وختم كلامه بابتسامته المعتادة وهو ينهض:

- وداعا.

خرج ودخل أحد الحراس لاصطحابي، أعادوا لي ما أخذوه مني فاستبدلت ملابسي على عجل، ثُمَّ سرتُ بخطوات واسعة نحو باب الخروج، أتوق لمغادرة هذا المكان!

في الخارج سطعتِ الشمس ناشرة الدفء في المكان، رفعتُ كفّي أظلل عيني عن أشعتها الساطعة والنسيم العليل يحفني من كل مكان...أنا حر!

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

التفت للصوت الذي نده باسمي خفيض خفيف متحشرج كأنما خرج من أعماق الروح بعد صراع مع العبرات المتكونة الخانقة.

أمي..

تقترب بخطوات بطيئة مترددة ،مشتاقة وعيناها قد ملأت وجهها بالدموع. توجهتُ نحوها بخطوات صغيرة متأنية تحولت لهرولة ثم ركض حتى ارتميتُ في أحضانها.

ضمتني بقوة وحنان، وشهقاتها تصل إلى مسمعي. خلفها وقف أبي يعلو وجهه التأثر وعلى شفتيه ابتسامة سعيدة ممتنة،

مسح دمعة كانت تترقرق في عينه وهمت للنزول، ثُمَّ ربَّتَ على كتفي بلطف وقال بصوت هادئ

- هيا بنا، فلنعد إلى المنزل.

تركتني أمي مرغمة وأهدتني ابتسامة عطوفة تحمل كل معاني الحب وهي تجفف دموعها، ثم سارت خلف والدي.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

التفتُ أعاين المكان لآخر مرة، مكان لا أرغب بأن تقذفني الأقدار فيه مجددا، تبسمتُ بحبور وقد انتهى الكابوس المضني أخيرًا. أنهيتُ جولتي بنظرة للشمس، بعدها نزعتُ معطفي الثقيل ولحقت بوالدي..

إنه الثامن من مارس.. والجو أضحى أدفأ قليلا.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة مكتبة إيلينا
https://t.me/osn_osn

AMIRA - AHMED

الثامن من أغسطس

ليس في الأمر شك ... هذهِ شقتي!

لكنه ظل مصرًا على أنها شقته، وأنه يقطنها منذ عدة أشهر رغم أنيّ لم أخرج منها إلا هذا الصباح!

أميرة أحمد
HIGH_IN_THE_SKY22

READERS STAR
DAR PAGES
9 786030 459346
دار صفحات كتاب للنشر والتوزيع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner